منبر الإسلام

دينية ثقافية

السنة الثامنة

المجلد الرابع

المدير ورئيس التحرير
عبد الله المراغى
مدير قسم المساجد
الإدارة : قسم المساجد
بوزارة الأوقاف
تليفون : ٨٥٣٩٤

منبر الإسلام
مجلة المساجد
دينية ثقافية

الإشتراكات لمدة سنة
داخل القطر ٣٦٠ مليما
خارج القطر ٤٨٠ مليما
المجلد الرابع
السنة الثامنة
رجب ١٣٧٠ هـ
شعبان ١٣٧٠ هـ

يصدرها قسم المساجد بوزارة الأوقاف

الفهرس

صفحة

قضية المرأة — لحضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ سيد زهــران مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف ٣

هداية القرآن

الرؤيا ليلة الاسراء والمعراج — لحضرة صاحب الفضيلة الشيخ حسنين خليفة ... ٤

هدى الرسول

فكر ساعة خير من عبادة سنة — بقلم حضرة المربى الكبير الاستاذ عبدالمغنى المنشاوى ١٣

الآداب الاسلاميـة

آداب التحدث والجلوس فى المجتمعات — لحضرة صاحب الفضيلة الإستاذ الجليل الشيخ عبد الله المراغى مدير المساجد ١٧

الدعوة الاسلامية

شاعر الدعوة : عبدالله بن رواحة — لحضرة الأستاذ محمد على عثمان ٢٠

أسرار الشريعـة

الولى فى عقد الزواج — لفضيلة الاستاذ الشيخ سليمان حسن عبد الوهاب ٢٤

التاريخ الاسلامى

صفحة

صفية بنت عبد المطلب — لفضيلة الاستاذ الشيخ سعد الدين الشافعى ٣٦

أعلام الاسلام

عبد العزيز المراغي بك — لحضرة الاستاذ عبد الحميد رشوان ٤٢

طرائف

من أدبهم وأخبارهم — لصاحب الفضيلة الأستاذ الشيخ يوسف البيومى... ٤٦

أمراض المجتمع

الغرور والمغرورون — لحضرة الأديب الكبير الاستاذ محمد الحناوى ... ٥٣

المحاضرات

مدى ما تفيده الامة من جهود المفكرين — لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية بوزاة الاوقاف ٥٧

المنبر العام

خطاب حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا رئيس مجلس الوزراء فى تحية عيد الميلاد الملكى السعيد ٦٢

عيد الفاروق — لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيد زهران مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الاوقاف ٦٧

اثبات وجود الله فى فلسفة ديكارت — لحضرة الأستاذ الدكتور عثمان أمين... ... ... ٧٢

المسجد الحرام — لفضيلة الاستاذ الشيخ عبد الحميد طه ٧٧

المسجد الأقصى — لحضرة الاستاذ محمد رجب البيلى ٨٧

الخلود بين الدين والفلسفة — لحضرة الاستاذ نجيب محمد عطية ٩٣

قضيـــــة المرأة

من أهم ما يشغل الأذهان فى هذه الأيام طلب المرأة مساواتها بالرجل فى الحقوق السياسية ، وقد سلكت فى سبيل المطالبة بهذه الحقوق شتى الطرق فألفت الأحزاب والجماعات، وعقدت الاجتماعات ونظمت المحاضرات وحررت المقالات فى الصحف والمجلات ، وسيرت المظاهرات تنتظم السيدات والفتيات وحاولت اقتحام دار البرلمان واهتمت بمقابلة القادة والزعماء لتبادل الآراء واقناعهم بأن النساء شقائق الرجال فى الحقوق والواجبات ، وقد شايعها فريق من رجال الفكر والصحافة وعارضها فريق آخر من الحريصين على تصونها الغيورين على منزلتها الاجتماعية . والمتتبع لهذه الحركة لا يستطيع ترجيح رأى فريق على آخر فى هذا الموضوع الخطير إلا إذا تعرف الأسانيـــد التى تدعم حجة كل من الفريقين ولا شك أن ما تطلبه المرأة من حقوق يحتاج فى اثباته إلى دليل من القانونين : السماوى والوضعى أو سند من التاريخ أو العرف أو الطبيعة ؛ وكان الظن بها أن تلجأ إلى القضاء العادى أو الأدارى ان كانت تؤمن بهذه الحقوق وأغلب الظن أنها لا تؤمن بأنها محل الاختصاص فاتجهت أولا إلى السلطتين التنفيذية والتشريعية تطالبهما بانصافها فلم تجد طريق النجاح أمامها معبدا فلجأت إلى الرأى العام تحتكم إليه ولذلك سنحاول أن نضع بين يدى الرأى العام ملخصاً لحجج المرأة وأنصارها ثم حجج خصومها ليتمكن من الحكم فى هذه القضية بعد البحث والتمحيص مطمئنا إلى عدالة حكمه وكثيراً ما كان الرأى العام مصدر الوحى للسلطتين: التنفيذية والتشريعية .

وسننشر فى العدد القادم هذا البحث وافياً إن شاء الله .

سيد زهران

مراقب عام الشئون الدينية بوزارة الأوقاف

هداية القرآن

الرؤيا ليلة الاسراء والمعراج

قال الله تعالى : « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » .

بعض آية مكية من سورة مكية هى سورة الإسراء

المفردات

الرؤيا تكون مصدراً لرأى البصرية كالرؤية فمعناهما واحد كالقربى والقرابة ، وإن كثر استعمالها فى رأى المنامية .

والفتنة : الامتحان والاختبار . والناس : تطلق لغة على الإنس والجن وإن استعمل فى الإنس كما يراد به طائفة مخصوصة كأهل مكة .

البيـــان

كان النبي صلى الله عليه وسلم بعد البعثة يضيق صدره ويحزن لعدم استجابة أهل مكة لدعوته والاهتداء بهديه ، وقد جاءهم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله . ويقول له ربه « واصبر وما صبرك إلا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون » ويحرضه على تبليغ رسالته والمضى فى سبيل دعوته ، فلا يخشى أحداً من الناس مهما بالغوا فى إيذائه وتكذيبه ، فيقول له « وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس » أحاط علمه بمن يؤمن ومن لا يؤمن بالآيات التى يرسلك بها أو يظهرها

على يدك ، كما أحاطت قدرته باستئصالهم ، كما عذبت به من قبلهم من الأمم ، لولا ماسبق فى علمه أن بعضهم يؤمن وبعضهم سيلد من يؤمن ، وسينصرك الله بهم حتى يتم أمره « وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين » وما ننزله عليك من الآيات ونظهره على يديك من المعجزات إلا اختباراً له لنعلم من يصدق ومن يكذب ، ويتميز الخبيث من الطيب ، ألا ترى أنا جعلنا الرؤيا التى أريناك فتنة أى اختباراً وامتحانا افتتن بها الناس فمنهم من آمن ومنهم من كذب بها ، ومنهم من ارتد عندما أخبرتهم بهذه الرؤيا ، فلا يهولنك أمرهم فما عليك إلا البلاغ وعلينا الحساب ، وذلك قوله تعالى « وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس » .

وقد روى البخارى فى تفسيرها عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : هى رؤية عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسرى به . وقال فى تفسيره المروى عنه الرؤيا التى أريناك فى المعراج ، فعلى هذا المراد بالرؤيا الرؤية البصرية ، وهذا مااختاره كثير من المفسرين ، وأما من قال إنها رؤيا منامية والمراد بها رؤياه فى قصة الحديبية أو رؤياه مصارع القوم فى غزوة بدر فيعارضه قوله تعالى « إلا فتنة للناس » فالرؤيا المنامية لا يحصل بها افتتان بخلاف الرؤية البصرية كما يعارضه ان الآية مكية وسورتها مكية وكانت غزوة بدر والحديبية فى المدينة بعد الهجرة .

وإذا ظهر أن المراد بها الرؤيا البصرية وأنها فى الليلة التى أسرى به فيها كما يؤيده أن هذه الآية من سورة نزلت بمكة لقولة تعالى « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى » ومعلوم أن الاسراء والمعراج كانا فى ليلة واحدة وكانت هذه الليلة قبل الهجرة بعام على أشهر الأقوال وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رجب كما عليه الكثير وادعى بعضهم الاجماع على ذلك وعليه عمل المسلمين إلى الآن . إذا ظهر ماذكر فما هى رؤية العين التى أريها رسول الله ليلة أسرى به وعرج به إلى السماء ثم إلى سدرة المنتهى إلى حيث سمع صريف الأقلام ، إلى حيث كلم ربه ورآه كما فى البخارى وغيره من الصحاح .

هل هى ما رأى من العجائب الخـــارقة للعادة التى شاهدها فى رحلته الأرضية ورحلته السماوية فقد رآها كلها بعين البصر يقظة كما يشير له قوله تعالى فى سورة الاسراء « لنريه من آياتنا » وقوله تعالى فى آية المعراج فى سورة النجم « مازاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى » أو هى رؤية محمد ﷺ لربه عز وجل ليلة الاسراء والمعراج وأنه رآه بعين البصر كما روى باسناد صحيح عن ابن عباس رضى الله عنهما قال « قال رسول الله ﷺ رأيت ربى عز وجل » وقد روى حديث الرؤية كثير من الصحابة والتابعين ومن بعـــدهم من الأئمة الأجلاء .

على أن رؤية محمد ﷺ لربه ليلة الاسراء هى من آيات ربه الكبرى بل هى الآية الكبرى فى هذه الليلة التى أراد الله أن يكرمه فيها أعظم تكريم ويظهر فضله فيها على خواص خلقه وعلى هذا فلامانع من أن تكون رؤية العين المرادة من الرؤية التى فى الآية هى رؤية محمد ﷺ لربه ، وهى وان لم تكن نصا فيها فهى داخلة فى عمومها وفيما رآه تلك الليلة من آيات الله الباهرة . فهذه الآية التى نحن بصددها على ما قررنا تدل على أن ما رآه ﷺ فى إسرائه ومعراجه كان بعين البصر يقظة كما تدل على ان الاسراء والمعراج كانا بالجسد والروح وعلى أن رؤيته لربه كانت بالبصر أيضا . ويهمنا فى الكلام على الاسراء والمعراج ان نثبت بالنقل والعقل انهما كانا بالجسد والروح لا بالروح فقط . والكلام فى قصتيهما معروف مشهور لنتوصل بذلك الى اثبات رؤية محمد ﷺ لربه رؤية بصرية والكلام عليها يتوقف على أمور : اثبات الاسراء والمعراج بالجسد والروح واثبات جواز الرؤية وامكان وقوعها فى الدنيا والآخرة وهل وقعت لغير نبينا ﷺ فى الدنيا؟ ويحسن قبل ذلك أن نبين معنى الروية أولا ، الرؤية هى الانكشاف التام للبصر وهو بمعنى إدراك الشىء بحاسة البصر وذلك أننا اذا نظرنا الى البدر ثم أغمضنا العين فلا خفاء فى أنه وان كان منكشفاً لدينا فى الحالين لكن انكشافه حال النظر اليه

أتم وأكمل ولنا بالنسبه اليه حالة مخصوصة هى المسماة بالرؤيا (افاده سعد الدين على العقائد النسفية) .

وعقيدة أهل الحق ان الله يرى لا فى مكان ولا على جهة من مقابلة ولا اتصال شعاع ولا ثبوت مسافة بين الرائى وبين الله تعالى .

اثبات الاسراء والمعراج بالنقل والعقل

اما اثبات الاسراء بالنقل فهذه الآية على ما قررناه وقوله تعالى « سبحان الذى اسرى بعبده » والعبد اسم لمجموع الجسد والروح والا لقال بروحه . وقوله تعالى «سبحان» الدال على تنزيه الله تعالى عن صفة العجز عن هذا الأمر العجيب الخارق للعادة وهو اسراؤه من مكة إلى بيت المقدس ، ولو كان مناماً لما كان أمراً عجيباً خارقاً للعادة يناسبه مقام التنزيه . وكما ان لفظ سبحان للتنزيه فهى للتعجيب أيضاً فهو مقصود منها كالتنزيه أى تعجبوا أو اعجبوا من قدرة الله على هذا الأمر الغريب ولا غرابة فى رؤيا النائم انه ذهب إلى أقصى بلاد العالم وعاد إلى محل نومه فى مدة وجيزة من الزمن .

وأما اثبات الاسراء بالعقل فاذا علمت أيها القارىء المؤمن الموحد ان قدرة الله فوق كل قدرة ، وإذا قضى أمراً فانما يقول له كن فيكون من غير أسباب ولا علم كالمعجزات وخوارق العادات التى ظهرت على أيدى الرسل؛ ونظرت بعين الاعتبار إلى الاختراعات والاستكشافات التى نشاهدها فى القرن العشرين من اختراع التليفون والتليفزيون والمذياع إلى اختراع الطائرات والمناطيد والقنابل الذرية التى لم تكن تخطر على بال من مضى وهذا كله من صنع الإنسان المخلوق من ماء مهين أيقنت أن الله الذى بيده كل شىء لا يعجزه ان يسرى بجسد محمد من مكة إلى بيت المقدس ليلا ثم يصبح بمكة «ان الله على كل شىء قدير» .

وأما اثبات المعراج بالنقل فهذه الآية أيضاً على ما قررناه وقوله تعالى : « مازاغ البصر وما طغى » دليل على ان المعراج كان فى ليلة الاسراء فليلتهما واحدة .

فاذا ثبت ان الاسراء كان بالجسد والروح كان المعراج كذلك وإلا فهل عرج بروحه إلى السماء وترك جسمه فى بيت المقدس بلا روح؟ وأما اثبات المعراج بالعقل فانك إذا علمت أيها القارئ المؤمن ان هذا العالم مكون من عنصرين روحى ومادى كما هو مشاهد وان الروح التى هى من أمر الله المتعلقة بهذا الهيكل الجسمانى لا تخضع لنواميس الطبيعة وتلك المواد الأرضية ولا تتأثر بمؤثراتها مهما بلغ أمرها فاذا تغلب سلطانها على سلطان الجسم بالرياضة والصفاء حتى تتخلى عن تدبير الجسم وعن كل ما يشغله فى هذا العالم الحسى رجعت الروح إلى مقتضى طبيعتها وكان الحكم اذ ذاك للروح لا للجسم وعلمت ان محمداً ﷺ ذو روح عالية ذات سلطان على الطبيعة وقد صحبته فى اسرائه ومعراجه روح عظيم من أكبر شخصيات العالم الروحانية وهو جبريل عليه السلام وتعلقت ارادة ربه بذلك أيضاً أفلا يستطيع جبريل أو ربه سبحانه وتعالى ان يطلقه من قيود قوانين الطبيعة ويمنعها من التحكم فى مشيئة الله تعالى؟ إذا علمت ذلك أيقنت أيضاً ان المعراج كان بالجسد والروح «ان الله على كل شئ قدير».

اثبات الرؤية وجواز وقوعها

أما رؤية الله عز وجل فهى جائزة فى نظر العقل ولكن المعول فى اثباتها هو الدليل السمعى وقد ثبتت بالاجماع والنص. أما الاجماع فاتفاق الأمة قبل ظهور المخالفين على وقوع الرؤية وكون الآيات والأحاديث على ظواهرها حتى روى حديث الرؤية أحد وعشرون رجلا من كبار الصحابة رضى الله عنهم.

وأما النص فمن الكتاب قوله تعالى «وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة» وقول موسى عليه السلام «رب ارنى انظر اليك» طالبا رؤيته جل وعلا. ومن السنة قوله ﷺ «انكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر» والمقصود منه تشبيه الرؤية بالرؤية.

ووجه الاستدلال بالآية الأولى ان لفظ النظر اذا تعدى بحرف إلى كان ظاهرا

فى معنى الرؤية ويؤكده اسناد هذا النظر الى الوجه الذى هو محل العين الباصرة .

ووجه الاستدلال بالآية الثانية ان موسى عليه السلام ماطلب الرؤية إلا وهو عالم بأنها جائزة فهو كسائر الانبياء عالم بما يجوز ومالا يجوز على الله والا كان طلبه لها مع علمه باستحالتها جهلا أو عبثاً لايليق بمقام الانبياء وهم معصومون من كل زلل . وقوله تعالى بعد ذلك « لن ترانى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف ترانى » دليل على جواز الرؤية أيضاً فان موسى عليه السلام طلب الرؤية فى الحال او ان تتحقق له فى الدنيا فقال الله له « لن ترانى » أى فى الحال او فى الدنيا والا لو كانت الرؤية غير ممكنة لما قال تعالى « لن ترانى » ولقال لم تمكن رؤيتى او لم ار او نحو ذلك وهذا لايمنع من وقوعها فى الآخرة لموسى وغيره من المؤمنين ؛ كما ان قوله تعالى « ولكن انظر الى الجبل » تدل على جوازها ايضاً فانه فى قوة ولكن يمكن ذلك عند حصول استعدادك وقبل حصوله لاتطيق كما لا يطيق الجبل مع كمال شدته . ولو كانت الرؤية ممتنعة لما كان لكلمة « ولكن انظر الى الجبل » موقع وتكون بمنزلة « لن ترانى » ولكن تمتنع الرؤية كما يستدل على جواز وقوعها أيضا من هذه الآية بأن الرؤية قد علقت على استقرار الجبل واستقرار الجبل ممكن فتكون الرؤية المعلقة عليه ممكنة ايضا اذ المعلق على الممكن لابد وأن يكون ممكناً ؛ حتى قوله تعالى « فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا » يدل على اثبات جواز الرؤية فقد ذكر الفخر الرازى فى تفسيره ان هذا التجلى هو الرؤية فان المقصود من ذكر هذه الآية تقرير ان الانسان لايطيق رؤية الله تعالى بدليل ان الجبل مع عظمته لما رأى الله تعالى بعد ان خلق فيه حياة وعقلا وفهما اندك وتفرقت اجزاؤه . وأما قول موسى « انى تبت اليك وأنا اول المؤمنين » فمعناه تبت اليك من سؤال الرؤية فى الدنيا أو من سؤال الرؤية من غير اذن منك وانا اول المؤمنين بأنه لايجوز السؤال منك الا باذنك . وقوله تعالى « لاتدركه الابصار وهو يدرك الابصار » مما يدل على جواز الرؤية ايضا فان الادراك بالحواس عبارة عن ابصار الشىء مع ابصار جوانبه وأطرافه وهذا فى حق الله تعالى

محال فتعين حمله على انه لايرى رؤية احاطة كما اخبر انه لا يعلمه احد علم احاطة بقوله « ولا يحيطون به علما » فالمنفى هو الرؤية باحاطة وهذا لاينافى أصل الرؤية بدون احاطة حتى اذا سلم ان الادراك هو الرؤية والمعنى لاتراه الابصار فلا نسلم انها لاتراه فى جميع الازمان بل المراد لاتراه الابصار فى الدنيا وهذا لا ينافى رؤيته فى الآخرة للمؤمنين كما صرحت به الآية الأولى وأيدته الاحاديث الصحيحة

وحسبك أيها القارىء فى اثبات الرؤية ماذكرنا وخوفا من الاطالة أعرضنا عن ماأورده المعتزلة المنكرون للرؤية من شبه مردودة تأولوا بها الآيات السابقة مع عدم الحاجة الى التأويل الذى لايصار اليه إلا عند تعذر الحقيقة وإبقاء الالفاظ على ظواهرها .

رؤية محمد ﷺ لربه عز وجل بعين البصر

اما رؤية محمد ﷺ لربه عز وجل ، ليلة الإسراء فقد ذهب جمهور الصحابة الاجلاء إلى ان سيد البشر رأى ربه بعين البصر وهو المختار عند المحققين من التابعين والمتقدمين والمتأخرين من الأئمة كما قال الإمام النووى فى شرح مسلم .

فمن هؤلاء الصحابة حبر الأمة ابن عباس رضى الله عنهما وله فى هذا المقام روايات منها ما رواه الإمام احمد بن حنبل بسند صحيح عن ابن عباس انه قال : قال رسول الله ﷺ « رأيت ربي عز وجل » ومنها ما رواه النسائى بسند جيد وصححه الحاكم أيضاً ، عن طريق عكرمة عن ابن عباس انه قال : « اتعجبون ان تكون الخلة لإبراهيم والكلام لموسى والرؤية لمحمد ﷺ وبلفظ آخر اخرجه ابن خزيمة « إن الله اصطفى إبراهيم بالخلة وموسى بالكلام ومحمدا بالرؤية » وفى (شرح) الشفا للقارى فيما رواه الحاكم والنسائى والطبرانى ان ابن عباس قال : « ان الله اختص موسى بالكلام وإبراهيم بالخلة ومحمدا بالرؤية » والمآل فى تكرر هذه العبارة واحد وصريح فى اثبات رؤية محمد ﷺ لربه وفى شرح مسلم للنووى عن عكرمة سئل ابن عباس هل رأى محمد ربه قال نعم وفى الشفاء للقاضى عياض وشرح مسلم ايضاً ان اسحاق ابن يسار روى عن ابن ابى سلمة ان ابن عمر ارسل

إلى ابن عباس يسأله هل رأى محمد ربه؟ قال نعم . ومن الصحابة الذين روى عنهم حديث الرؤية ابو هريرة وابو سعيد الخدرى رضى الله عنهما فقد روى البيهقى عنهما باسناد حسن انه رأى ربه فخر ساجداً وكلمه ربه فقال له يا محمد قال لبيك يارب قال سل قال « انك اتخذت إبراهيم خليلا » الحديث. وممن اثبت الرؤية البصرية من الأئمة المحققين التابعين الحسن البصرى فيما رواه عن عبدالرزاق الحافظ الشهير عن معمر بن راشد « ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى محمد ربه اى بعينى رأسه جزماً » وإلا فما كان للحلف معنى إذا لم تكن الرؤية بصرية كما حكى النقاش عن الإمام احمد بن حنبل انه قال اقول بحديث ابن عباس « انه رآه رآه حتى انقطع نفسه كما فى الشفاء » اى مازال الإمام يكرر لفظ رآه حتى انقع نفسه لزيادة التأكيد والمبالغة فى اعتقاده وقوع الرؤية البصرية . ومنهم الإمام محمد بن مسلم بن هشام الزهرى التابعى؛ وإمام الأئمة ابن خزيمة فانهما جنحا إلى اثبات الرؤية البصرية. ومنهم ايضا إمام أهل السنة ابو الحسن الأشعرى وجماعة من اصحابه ان النبى ﷺ رأى الله تعالى ببصره وعين رأسه عليه السلام .

وأما حديث عائشة رضى الله عنها فقد أورده صاحب الشفاء فى أول مبحث الرؤية عن الشعبى عن مسروق أنه قال : سألت عائشة هل رأى محمد ربه فقالت : « ثلاث من حدثك بهن كذب من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب ثم قرأت « لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار » الحديث فقد أجيب عن ذلك بأجوبة فانها رضى الله عنها لم تخبر أنها سمعت النبى ﷺ يقول لم اره وانما ذكرت ماذكرت متأوله لقول الله تعالى « لاتدركه الابصار » واذا صحت الرواية عن ابن عباس فى اثبات الرؤية وجب المصير الى اثباتها فانها ليست مما يذكر بالعقل ويؤخذ بالظن وانما يتلقى بالسماع ، ولا يستجيب أحد ان يظن بابن عباس رضى الله عنهما انه تكلم فى هذه المسألة بالظن والاجتهاد وقد قال معمر بن راشد حين ذكر

اختلاف عائشة وابن عباس رضى الله عنهما ماعائشة عندنا بأعلم من ابن عباس ثم ان ابن عباس أثبت شيئاً نفاه غيره والمثبت مقدم على المنفى وقد روى ابو محمد الحسن الشهير بالخلال الحافظ الثقة عن اسحاق بن منصور عن احمد ابن حنبل قال قلت لاحمد يقولون ان عائشة قالت «من زعم ان محمدا رأى ربه فقد اعظم على الله الفرية» فبأى معنى يدفع قولها قال اى الامام احمد «يقول النبي ﷺ رأيت ربى ؛ قول النبي ﷺ أكبر من قولها» وأما استنباطها رضى الله عنها عدم الرؤية من قوله تعالى «لا تدركه الأبصار» فمعلوم أن الإدراك هو الإحاطة وهذا مسلم باتفاق ، فكما أنه لا يحاط به علما كذلك لا يحاط به رؤية ، وهذا لا ينفى كما سبق ثبوت الرؤية دون إحاطة ، وربما أشار إلى ذلك ابن عباس فيما رواه عنه الإمام أحمد عن عكرمة عن ابن عباس قال : «رأى محمد ربه» قال عكرمة : قلت أليس يقول الله تعالى «لا تدركه الأبصار» قال ويحك ذاك إذا تجلى بنوره الذى هو نور يعنى إذا تجلى بحقيقته وكنهه ليكون مدركا على سبيل الإحاطة كما يدل عليه معنى الإدراك فى اللغة .

وبعضهم يجمع بين القولين : بتكرر الاسراء والمعراج مناما ويقظة دفعاً للتعارض بين الاحاديث وأقوال الصحابة وهذا أولى من ادعاء انكارها وردها على قائلها .

أيها القارىء الكريم ان مبحث الرؤية طويل وما ذكرته قطرة من بحر فحسبك منه هذا القدر وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامى وعلى آله وصحبه وسلم .

حسنين خليفة

مفتش المساجد العام

هدى الرسول

فكر ساعة خير من عبادة سنة

« حديث شريف »

بقلم حضرة المربى الكبير الأستاذ عبد المغنى المنشاوى

صدقت وبررت يا سيدى يا رسول الله ، وجزاك مولاك ومولانا عنا جماهير المؤمنين بما أنت أهله ، فمن يمهد لنا طريق الوصول إلى الله غيرك ، ومن يحدونا إلى ساحة الرضوان سواك ؟ عبرت الدنيا ولست من أهلها ، لتؤدى لأهلها رسالة المنطق السليم ، والتوجيه الحكيم ، حتى يعدوا أنفسهم لعيش أصفى من هذا العيش ، وحياة أمثل من هذه الحياة .

إن عبادة الله ، أسمى غاية تهدف إليها رسالات رسل الله ، عليهم صلوات الله ، وواهم من يظن ان هذه العبادة ، تحدها ركعات وسجدات ، وخلوات وجلوات ، ولكن العبادة حق العبادة ، هى التى تنتظم روحها جميع أحوال العابدين ، قائمين وقاعدين ، مزاولين لما تتطلبه هذه الحياة من أعمال ، أو من هذه الأعمال فارغين.

العبادة المثلى ان تذكر الله ما وسعتك الذكرى ولا تنساه ، وان تراقبه مراقبة من يعلم انه يسمعه ويراه ، وان تسلط أشعة الفكرة النافذة ، والنظرة الدارسة ، على نفسك ومن حولك وما حولك ، من أرض وسماء ، وماء وهواء ، ونبات وجماد ، وإنسان وحيوان ، وعلى ضوء هذه الأشعة الفكرية الكاشفة ، تتجلى لك بعض نواحى العظمة فى هذا الخلق العجب ، والخالق الأعجب سبحانه ، كما تتجلى الغاية السامية من قوله عليه الصلوات : « فكر ساعة خير من عبادة سنة » .

ذلك ان العبادة إذا جانبها الفكر الصائب ، والنظر الثاقب ، كانت أعمالا

آلية تصدرها الجوارح وحدها ، دون أن يكون للعقل عليها اشراف ، أو للقلب سلطان ، أشبه ما تكون بأعمال حيوان أعجم معلم ، ككلب الصيد أو جواد الرهان — فالفكر رأس العبادة وروحها ، ولئن فقدت العبادة روحها ، انها الجسم لا حراك به ، ولا حياة فيه .

من اجل ذلك جاءت الحنيفية السمحة ، بما افتك العقول من اسارها ، واحتها ان تستديم الفكر ، وتدمن النظر فى ملكوت السموات والأرض ، وما خلق الله من شيء ، فإن هذا وحده هو الطريق القاصد ، يفضى بها إلى غاية الغايات ، وهى معرفة فاطر الأرض والسموات ، فتكون عبادتها خالصة لوجه خالقها ، عبادة يقظى لا تنيمها الغفلة ، بريئة لا تتهم بلون من ألوان الشرك الخفى — وهذا كتاب الله يقول : « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ، وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت ، وإلى الأرض كيف سطحت » ويقول : « إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ، الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ، ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ، ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك ، فقنا عذاب النار » فلنجب داعى الله ، ولنقف فى ليلة ، اقشعت غيومها ، وسفرت نجومها ، نمتع العين بالنظر إلى سفن النيّرات الجارية فى بحرها اللجى الأثيرى ، ونسألها من خلع عليها حلل السنا الباهر ، فتبدت فيها سحرا للمتأملين ، وفتنة للناظرين ، والعجب العاجب ان تسير هذه الكثرة الغامرة من الكواكب ، وهى التى جاوزت حد التقصى ، فى سرعة تختبط فيها الأوهام ، وتضل الظنون والأفهام ، ثم هى لا تعود منذ قذفتها يد خالقها القدير ، إلى نقطة مرت بها ، فلنصوّر لأنفسنا عظم هذا الكون ، الذى اتسعت أرجاؤه لهذه الرحلة العجب ، ولسوف تتسع لها وتتسع ، ما دام فى هذه الدنيا نجوم تطلع ، وأخرى تغور ، فإما تعاظمتنا مظاهر هذه القدرة القادرة ، فلنرسلها صيحة من أعماق النفس تزلزل قلوب الملاحدة المكابرين ، الله اكبر ، الله اكبر .

ثم لنقف أمام هذه الوردة السافرة من برعومها(١) سفور العذراء تحيي من يجتليها فى خفر واستحياء ، ولنسالها فى عجب ، من ذا الذى خلع عليها هذا اللون العجب ، وحباها هذا الطيب النافح ، والحسن الفاضح ، وهى هى تلك البذرة المهينة ، تواريها الأيدى الزارعة فى تربتها الخصبة ، فتشق لها يد القدرة طريقها إلى الهواء والضياء ، لتخرج علينا فى صورة ارق من الهواء ، وأبهى من الضياء ، انها وحق من سوّاها خلقاً بديعاً ، لتكاد تحرك شفتيها باسمه الأعظم ، فى صوت ان لم تسمعه الآذان ، فقد وعته القلوب التى فى الصدور « وإن من شىء إلا يسبح بحمده ، ولكن لا تفقهون تسبيحهم » .

وهذه الشجرات مشتبهات وغير مشتبهات ، فى جنات معروشات وغير معروشات ، نطعم منها جنى مختلف الألوان ، متباين الطعوم ، ثم نجهد ان نكتنه سر هذا الاختلاف فلا نظفر ، فغذاء جميعها من تربة واحدة ، ورى جميعها من ماء واحد ، ولو فطن المتأملون إلى هذا السر الذى يظهر فى خفاء ، ويخفى فى ظهور لرأوا من ورائه يد الحكيم البديع ، تبدىء وتعيد ، وتنقص وتزيد « وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب ، وزرع ونخيل ، صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض فى الأكل ، إن فى ذلك لآيات لقوم يعقلون » .

وهذه البلابل ، الا تشجونا اصواتها الغردة المطربة ؟ لكأن الملائكة ترتل مزاميرها فى حناجرها ، وترفرف فوق غصونها بأجنحتها ، الا يطلب إلينا هذا الصوت الساحر ، ان نتلبث امامه يسيرا لنسائله ، من برى هذه الحنجرة عودا تهتز لإيقاع اوتاره اوتار القلوب ، ويجرى من شئونه ماء الشئون ، لنسمعه ولنستعده ، معجبين هاتفين ، الله ، الله ، نجد فى ثنايا سؤالنا الجواب .

ثم لنسأل النحل ، من علمها الزهر كيف يجنى ، والشهد كيف يطهى ، والشمع كيف يؤسس ويبنى ، ومن خلع عليها هذه الابراد اليمانية ، وسلحها بهذه الابر الشائكة ، تجبنا انه القائل « وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتاً

(١) الزهرة قبل أن تتفتح .

ومن الشجر ومما يعرشون ، ثم كلى من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا ، يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه ، فيه شفاء للناس ، إن فى ذلك لآية لقوم يتفكرون » .

والنملة ، وهى الدقيقة خلقاً ، المتينة خلقاً ، كيف تبنى قراها ، وتجمع غذاها ، وكيف تصبر وتصابر ، وتجالد وتثابر ، حتى كانت أستاذاً للانسان الموهوب ، عنها يتلقى دروس الادخار والدءوب ، فمن يا ترى وهب لها هذه الطباع المركوزة ، وهيأ لها هذه السبيل الممهودة ، سبحانه ، سبحانه ، انه « ربنا الذى أعطى كل شىء خلقه ثم هدى » .

أما بعد ، فإن كتاب الحياة بيّن الآيات ، غير متناهى الصفحات ، يجد قارئوه فى كل سطر من صفحة بل فى كل كلمة من سطر ، بل فى كل حرف من كلمة ، عبرة وذكرى لو كانوا يعقلون ، وما يعقلها إلا العالمون .

وما اجدر الانسان وهو الانسان ان يقرأ كتاب العبر فى نفسه ، قبل ان يقرأه فى غيره « وفى أنفسكم أفلا تبصرون » فينظر وهو المخلوق من ماء وطين ، كيف سواه ربه بشراً سوياً ، فكان ذا يد باطشة ، وعين باصرة ، ولسان ناطق ، وفؤاد خافق ، وعقل يعى ويقيس ، ويشترع ويبتدع ، ثم يفطن إلى نبض لاينى دقه ، ورئة لا تهن انفاسها ، قاعداً قائماً ، يقظان نائماً ، فيعلم ان هذا الخلق العجب لايمكن ان يكون وليد الطبيعة العاجزة الخرساء ، او المصادفة العارضة العمياء ، بل « هذا خلق الله ، فأرونى ماذا خلق الذين من دونه ، بل الظالمون فى ضلال مبين » .

وأس أساس عبادة الله : معرفة الله ، ولن يعرف الله ، من لم يتخرج فى دراسة خلق الله فلنحرص على اداء العبادة الصحيحة ، بدراسة ما حولنا ، من مظاهر قدرة الله القادرة ، ولنصل إلى معرفة ربنا ، عن طريق معرفة نفوسنا ، فمن عرف نفسه فقد عرف ربه « سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق ، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد » . وهب الله لنا من لدنه الحسنيين ، وكتب لنا السعادة فى الدارين ، وله الحمد فى الأولى والأخرة .

الآداب الاسلامية

آداب التحدث والجلوس فى المجتمعات [١]

لحسن العلاقات بين الافراد أثر فعال فى رقى المجتمع وحضارته ، وأساس هذه العلاقات الطيبة ، والصلات القوية هو الثقة المتبادلة ، والاطمئنان الراسخ فى نفس كل فرد من أفراد المجتمع إلى من يتصل به ، فى بيع أو شراء ، أو حديث أو مجلس ؛ فان نجاح كل جماعة أو طائفة فى مسعاها ، ووصولها إلى ما تبتغى من مطالب الحياة ، وما أكثرها وما أعقدها ، موقوف على الرابطة المتينة الثابتة بين ميولها وأغراضها ، ووحدة هدفها وسمو مطلبها ، ومن أجل هذا وغيره من الفوائد ، عُنى الاسلام اشد العناية بوضع المبادىء الصحيحة ، التى تحفظ للمجتمع وحدة مبرأة من كل شائبة نقص ، منزهة عن عوامل الضعف والانحلال ؛ والتخاذل والفرقة ، قال الله عز وجل « يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم فلا تتناجوا بالاثم والعدوان ومعصية الرسول ، وتناجوا بالبر والتقوى ، واتقوا الله الذى إليه تحشرون » فالمناجاة هى الحديث الذى يقصد المتناجون كتمانه ، وصيانته وحفظه عن الذيوع والانتشار فى المجتمع ، خوفا من فوات العناية المقصودة من هذا الحديث المكتوم الخفى ، المحتجز عن الوصول إلى آذان الناس ، وحرصا على أن يؤدى هذا السر المبيت المستور غرضه ، ويصيب هدفه المنشود ، فالاسلام يمنع من التناجى بالاثم والعدوان ، الذى يفوت المصلحة العامة للأمة ، من تآمر على كيد للاوطان ، وخيانة للبلاد ، وتعد على قداستها وحرمتها ، وقد عبر عن

هذا المعنى فى القوانين الحديثة بالخيانة العظمى للوطن ، وتلك هى الجناية النكراء ، والطامة الكبرى التى تقوض بنيان الأمة من الأساس ، وتقضى فى كل صالح على الاخضر واليابس ، وتصدق فى هذه الفعلة الشنعاء ، والداهية الدهياء تلك الحكمة القائلة ، « خيانة الوطن اشد اهلاكا وتدميرا له ، من احراق النار للهشيم فى الليلة العاصفة » .

ومرتكبو هذه الجريمة قد خانوا الامانة ، ونكثوا العهد ولم يحموا الذمار ، ولم يحصنوا الأوطان ، ولم يدافعوا عنها دفاعا صادقا توجبه الشريعة ويأمر به الدين ، فهم قد فعلوا أعظم جرم ، وسعوا فى الارض بالفساد ، وحاربوا الله ورسوله ، ودخلوا فى عداد المجرمين الآثمين ، الذين قال الله فيهم ، « إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ، ان يقتلوا أو يصلبوا ، أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الارض ، ذلك لهم خزى فى الدنيا ، ولهم فى الآخرة عذاب عظيم » فالمناجاة بالإثم والعدوان على الأوطان، عصيان لله ورسوله ومخالفة للأمر بالاخلاص للأوطان ، والتفانى فى الدفاع عنها ، وكفر بحبها ، الذى رفعت منزلته الى منزلة الايمان كما قيل : حب الاوطان من الايمان .

وهناك نوع من سوء المناجاة قبيح شنيع ، وان كان لا يبلغ قبح المناجاة بخيانة الاوطان ، وذلك ان يضم مجلس جماعة من الناس ، فينتحى للمناجاة اثنان أو أكثر ، تاركين واحدا منهم محروما من المشاركة فى الحديث ، فيوسوس له الشيطان بأن ذلك الحديث ، وهذا الاسرار المحوط بالكتمان والاخفاء انما يقصد به ضرره ، وينصب عليه شره ، وقد ورد فى الحديث الشريف عن ابن مسعود رضى الله عنه ان النبى ﷺ قال « اذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما إلا باذنه فان ذلك يحزنه ، واى حزن اوجع من حزن شخص اجتمع مع قوم فتجاذبوا اطراف الحديث دونه فلا شك ان الشيطان يجد ايسر سبيل لحشد الظنون الى قلبه ، وادخال المخاوف على نفسه ، حتى يجعله فى موقف تضطرب فيه فرائصه ،

ويختل توازنه ، ويتبلبل فكره ، وتسودّ الدنيا فى وجهه ، وبذلك يظهر السر البليغ ، وتبدو الحكمة السامية فى نهى الرسول عليه السلام عن هذا النوع من المناجاة ، الذى يوجب العداوة والبغضاء ، ويذهب بالألفة والمودة بين أفراد المجتمع ، فيبدو مجتمعا هزيلا تزعزعت فيه مقاييس الخلق الفاضل ، وذوى فيه عود السجايا الحميدة ، فانما يجتمع الناس ويتعارفون فى مجالسهم وأنديتهم ، فاذا صلحت تلك المجالس أصلحت ذات البين وجمعت القلوب ، وألفت النفوس ، ولذلك حاطها الاسلام بشتى الآداب التى تجعلها صالحة مصلحة ، وطيبة راضية ، وتجنبها كل مايكدر صفوها ويضير مودتها واخلاصها ، ومن ذلك الادب الكريم قوله جل شأنه « يأيها الذين آمنوا اذا قيل لكم تفسحوا فى المجالس فافسحوا يفسح الله لكم ، واذا قيل انشزوا فانشزوا يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ، والله بما تعملون خبير » فانظروا كيف فرض الله على الجالسين من المسلمين ان يتقبلوا اخوانهم الوافدين عليهم بقبول يشرح صدورهم ، ويكفل ايناسهم ، ويوسعوا لهم فى مجالسهم حتى يشعر القادمون بأن اخوانهم فى لقياهم راغبون ، وبقدومهم مسرورون ، وعلى مجالستهم حريصون . وكما علم الاسلام الجالسين ادب الاستقبال كذلك ادب القادمين عليهم خير آداب القدوم ، وفى ذلك يقول ابن عمر رضى الله عنهما « لايقيم الرجل الرجل من مجلسه ثم يجلس فيه ، ولكن تفسحوا وتوسعوا » . وكان ابن عمر إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه .

فطوبى للمتناجين الذين هم فى نجواهم متقون ، والذين هم فى مجلسهم ابرار صالحون وبمعروف مؤتمرون وعن منكر متناهون « يأيها الذين آمنوا لاتخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون » ؟

عبد الله المراغى

مدير قسم المساجد

الدعوة الإسلامية

شاعر الدعوة :

عبد الله بن رواحة

هو أحد الشعراء الثلاثة الذين عقد لهم الرسول ﷺ تاج المجد والفخار عندما اختارهم ليناضلوا عنه وينافحوا عن دعوته فى المجتمع المكى الذى كان يحفل بالشعر أكثر مما يحفل بغيره من فنون القول .

وهو عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس الأكبر الأنصارى الخزرجى . ويكنى أبا محمد وقيل أبو رواحة ، وكان ممن شهد العقبة وشهد بدرا وأحدا والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء ، وكان شديد الطاعة للرسول ﷺ تلك الطاعة التى لا تعرف لها حدا .. وحتى فيما لا يتصل بأحكام الدين ، فقد أتى ابن رواحة المسجد بينما كان رسول الله ﷺ يخطب فسمع الرسول يقول « اجلسوا » فجلس ابن رواحة ، وكان حينئذ خارج المسجد ، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال له : « زادك الله حرصا على طواعية الله وطواعية رسوله » .

ومن شعره يمدح رسول الله :

إنى تفرست فيك الخير أعرفه ... والله يعلم أن ما خاننى البصر
أنت النبى ومن يحرم شفاعته ... يوم الحساب فقد أزرى به القدر
فثبت الله ما آتاك من حسن ... تثبيت موسى ونصراً كالذى نصروا

فدعا له النبى ﷺ وقال « وأنت فثبتك الله يا ابن رواحة » وقد استجاب الله دعاء الرسول .. فقد قال هشام بن عروة « لقد ثبت الله ابن رواحة أحسن الثبات فقتل شهيداً وفتحت له أبواب الجنة » .

وكان ابن رواحة أول من يخرج إلى الغزو وآخر من يقفل منه . وكان كثيرا ما يقول الشعر فى تلك المناسبات التى تسمو فيها النفس أمام نبل الغاية التى تحارب من أجلها .. وتخفيفا من هموم الحياة التى خلفها مثل عبد الله بن رواحة وراء ظهره وأقبل على ماهو خير وأبقى ، فلقد كان ينشد عندما خرج إلى مؤتة غازيا :

إذا أدنيتنى وحملت رحلى ... مسيرة أربع بعد الحساء
فشأنك فانعمى وخلاك ذم ... ولا أرجع إلى أهلى ورائى
وجاء المؤمنون وغادرونى ... بأرض الشام مشهور الثواء
هنالك لا أبالى طلع بعل ... ولا نخل أسافلها رواء

ولقد كان رسول ﷺ يقدره ويستجيد شعره إذ ان من الشعر لحكمة ، وان منه ما يسمو بالنفس عن مواطن الاغواء والاضلال ، ويجعلها تتصل بالمثل العليا فى الحياة . فقد روى عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال : « ان أخاً لكم لا يقول الرفث وهو ابن رواحة » فقد قال :

وفينا رسول الله يتلو كتابه ... إذا انشق معروف من الفجر ساطع
أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا ... به موقنات ان ما قال واقع
يبيت يجافى جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالكافرين المضاجع

وقد سمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه ابن رواحة ينشد الشعر أمام النبى وفى بيت الله ، فقال له عمر : ياابن رواحة « بين يدى رسول الله وفى حرم الله تقول الشعر؟ » فقال له النبى ﷺ « خلّ عنه ياعمر فلهى أسرع فيهم من نضح النبل »

وذلك تقدير نبوى كريم لابن رواحة وتشجيع له على الاستمرار فى إنشاد مثل ذلك الشعر الذى يرفع من قيمة الإسلام ويضع من جبروت الكفر . . وما يتبع ذلك من تقوية الروح المعنوية فى تلك الجماعة الناشئة الصغيرة التى أخذت على نفسها أن تجاهد وتجاهد فى سبيل عقيدتها ودينها الجديد الذى أتى به محمد ﷺ ، وترى السعادة ممثلة فى تعاليمه وأصوله تمثيلا ينهض بالنفس الإنسانية ويرتفع بها إلى منزلة العزة والكرامة اللائقة بإنسان منحه الله العقل والتفكير .

ولما دخل رسول الله ﷺ مكة فى عمرة القضاء كان ابن رواحة يأخذ بخطام القصواء — ناقة الرسول — وسط القرشيين الذين هالهم نصر محمد ﷺ .. وتلك الجموع الغفيرة التى تجمعت على دينه وتلاقت فى حبه .. وفى وسط الحماسة البادية على جموع المسلمين ، أراد ابن رواحة أن يقذف فى وجه قريش بصيحة الحرب ، فمنعه عمر ، وقال له الرسول « مهلا يا ابن رواحة ! قل لا إله إلا الله وحده ، نصر عبده ، وأعز جنده ، وخذل الأحزاب وحده » فنادى بها ابن رواحة ، فتجاوبت أصداؤها فى جوانب مكة وارتفعت إلى آذان من هجروها إلى الأودية والجبال المحيطة بها .

وكان عبدالله بن رواحة ثالث ثلاثة على الترتيب عقد لهم الرسول ﷺ لواء جيش مؤتة وهم : زيد بن حارثة ، فجعفر بن أبى طالب ، فعبد الله بن رواحة . ويظهر أن ابن رواحة كان فى نفسه شىء مما وعد الله به المستشهدين فى سبيله وبين ما ورد فى آية « وإن منكم إلا واردها » إذ قد روى أنه بكى عندما ودعه المسلمون فقالوا : ما يبكيك يا ابن رواحة ؟ فقال : « اما والله ما بى حب الدنيا ولا صبابة إليها ولكنى سمعت رسول الله ﷺ يقرأ آية (وإن منكم إلا واردها) فلست أدرى كيف لى بالصَّدَر بعد الورود » فدعا المسلمون له بالثبات والخير ، فلم يلبث ابن رواحة ان ذهب عنه ما يجد وعاد إليه إيمانه القوى والثقة الأكيدة بوعد الله فأنشد :

لكننى أسأل الرحمن مغفرة ... وضربة ذات فرع يقذف الزبدا
أو طعنة بيدى حران مجهزة ... بحربة تنفذ الأحشاء والكبدا
حتى يقولوا إذا مروا على جدثى ... يا أرشد الله من غاز وقد رشدا

وقد أخذ البعض على ابن رواحة تلك اللحظة التى وازن فيها بين نصين من كتاب الله وسماها ترددا .. وقد يكون ذلك البعض مغاليا .. فهل يطلب من ابن رواحة وهو إنسان وشاعر أن يكون أكثر ثقة واطمئنانا من النبى والرسول سيدنا ابراهيم عليه السلام ، فقد وجد فى نفسه شيئا من البحث فقال « رب أرنى كيف تحيي الموتى » فقال له الله تعالى « أولم تؤمن ؟ » فقال ابراهيم عليه السلام « بلى ! ولكن ليطمئن قلبى » .

وابن رواحة رجل خيال حينا ، وحقيقة أحيانا ، فلمَ لا تكون تلك اللحظة قدجال فى خاطر ابن رواحة غريزة حب البقاء ، أو وقف فيها القائد الشاعر يستلهم وحى شعره ليلهب حماسة جنده ويدفعهم إلى حرب ينسون فيها كل شىء ولا يذكرون إلا تلك الغاية الشريفة التى يحاربون من أجلها .. فسمِّ تلك اللحظة ترددا إن شئت، أو استذكاراً لغريزة حب البقاء إن أردت ، أو استلهاما لوحى الشعر إن بدا لك ؛ فليس ذلك بضائر ابن رواحة فى شىء . فقد سار فى الجيش ويبلغ ثلاثة آلاف مقاتل ، وكان يشجع الجيش على السير إلى الحرب ، فلما وصل رجال الجيش إلى « معان » فى طريقهم إلى مؤتة بلغهم ان جيش الروم كثير العدد إذ يبلغ مائة ألف مقاتل، ففكر قواد المسلمين ماذا يصنعون أمام هذا الجيش اللجب الذى لا قبل لهم به ؟ فقال قائل منهم نكتب إلى رسول الله فنخبره بعدد عدونا فإما أن يمدنا بالرجال وإما أن يامرنا بأمر فنمضى له . وكاد هذا الرأى يسود لولا أن تقدم عبد الله ابن رواحة وقال « ياقوم : ووالله ان التى تكرهون للتى خرجتم تطلبون : الشهادة وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، وما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذى أكرمنا الله به فانطلقوا فانما هى إحدى الحسنيين . اما ظهور ، واما شهادة » فتأثر الجيش بقول الشاعر الشجاع وقالوا « فوالله صدق ابن رواحة » ومضوا فى سيرهم.
فلما التقى جيش المسلمين بجيش الكفار وقتل صاحباه تقدم فقاتل فى المقدمة وكان ينشد:

يانفس الا تقتلى تموتى هذا حياض الموت قد صليت
وما تمنيت فقد لقيت ان تفعلى فعلهما هديت
وان تأخرت فقد شقيت

فلما طعن تلقى الدم بيديه ودلك به وجهه وسار بين صفوف المسلمين وهو يقول «يامعشر المسلمين ذبوا عن لحم أخيكم» فكان لذلك أثره فى اشتداد القتال وتحمس جيش المسلمين واستبساله فى الحرب استبسالا لا يضع من قيمته ان لم ينتصر جيش المسلمين.

وذهب ابن رواحة شهيداً يقتعد سريره فى الجنة بين سافيه كما أخبر بذلك ابن اسحاق عن رسول الله ﷺ .

محمد على عثماده
من العلماء بوزارة الأوقاف

أسرار الشريعة

الولى فى عقد الزواج

فى مستهل هذا القرن نادى المجددون من عشاق المدنية الغربية بحرية المرأة وزينوا لها أن تخرج على التقاليد الشرقية . فتجهر برأيها وتسفر عن وجهها وتغشى المجتمعات العامة ، وأباحوا لها الاختلاط بالرجال فى النوادى والمقاهى بله دور الملاهى ، فزرَّ قرن الشيطان ، وفتح باب الفتن ، ودلف إلينا الفساد .

وقد تم لهؤلاء ما أرادوا رغم أنف المعارضين وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، فانتشرت سموم هذه الآراء فى الأوساط النسائية ، وتجرعت المرأة هذه الجرعة راضية ، وسارت فى ركب المجددين مسرعة ، فاتسع الخرق وانبثق الفتق وانقلب بركانا أصاب بحممه فضائل المرأة وقضى على كرامتها وذهب بأنوثتها ، وأطاعت هوى الرجل فأسفرت لا عن الوجه وإنما أخلصت للهوى فكشفت عن محاسن الجسم ، ثم كبت على وجهها من سوء الاختلاط حيث ضاعت كرامتها تحت أرجل الراقصين والراقصات ، ثم أسرفت وأسرفت فى رأيها وحريتها ، فكان ما كان مما لست أذكره .

والحق أن من النساء من خرجن عن طوق الحياء ، ولم يعد فى الإمكان ردهن إلى حصنهن الشريف إلا بقانون ، فان الله يزع بالسلطان مالا يزع بالقرآن .

لم تدرك المرأة أنها مطلوبة . ولم تقدر معنى أنوثتها ، وتناست تهافت الرجال حولها فداست كرامة العادات النبيلة ، وقداسة المبادىء الإسلامية ، ولم تقف عند حد ، وإنما هامت على وجهها تجارى تيار التجدد ، وتسير فى ركب التحضر فى عماية وجهالة . فثلم العرض وخدش الشرف وذلت نفوس ، وخضعت رءوس

وشاب الفود وحل بأسرنا البوار، ولا سبب سوى أننا فتحنا باب الحرية للنساء على مصراعيه فخرجت المرأة طليقة تخرج كيف تشاء ومتى تشاء، وتجالس من تشاء وتتحدث إلى من تشاء، فكانت الثمرة الأولى . أن عادت إلى بيت أبيها تتأبط ذراع فتى لا معرفة للبيت به ولا صلة بينه وبين الأسرة، اختارته من عرض الطريق . من نظرة فى السينما، أو بسمة فى المنتدى، أو لقاء عارض فى سيارة، لم تدرس بيئته، ولم تقف على خلقه، فوقعت فى حباله أو وقع هو فى حبالها. فإذا ما أراد الأب أو الأخ أو العم أن يرشد أو أن ينصح التوى القصد عليهم وسد السبيل فراحت إلى المأذون الشرعى وفى مكتبه يعقد عليها وتتسلم الوثيقة رغم أنف الأسرة جمعاء ولن يستطيع ولى أمرها أن ينقض عقدة النكاح أو أن يبطل عقد الزواج لأن القانون يحمى الزوجين .

كنت أرى هذه الصور فى مكاتب المأذونين الشرعيين تتكرر أمامى وأقرأ فى الصحف السيارة أمثال هذه الحوادث الأليمة وأبصر أصابع الفساد تعبث بالبيوتات، وأسمع صياح المتشائمين من هذا الحال، وأنظر ثوب الحياء يتقلص رويدا رويدا عن بنات الأسر، وأجد عوامل الإنحلال تتسلل إلى مجتمعنا . . ويعترينى الحزن حينما أجد الآباء يقفون أمام بناتهم الخارجات عليهم مكتوفى الأيدى وعلى وجوههم قتر وذلة وخزى وكآبة . . فأقول : لقد اشتدت العلة وأزمن الجرح واستفحل الداء . ولا بد من إصلاح شامل يحفظ الكرامة ويصون العرض ويسد باب الشر . ولا ينبغى أن نصبر على رؤية هذا الأذى والقذى . . والحمد لله لدينا شريعة كافية وافية . غنية بالأدوية الشافية . فلمَ نقف مكتوفى الأيدى أمام هذا الخطر الجاثم الداهم ؟ .

ألم يطرق سمع علمائنا المصلحين نبأ هذه الدواهى الموبقة والحوادث المثيرة؟ وإذا كانوا قدسمعوا فما الذى جعلهم يتقيدون إلى الآن بمذهب أبى حنيفة فى هذه الواقعة بالذات، ويقفون مكتوفى الأيدى أمام مسألة أثبتت الحوادث أنها تضر بمستقبل البنات والبنين . . مع أننا قد تحللنا من المذاهب المشهورة فى أمر

الطلاق ، وأخذنا بقول الصحابة والتابعين وتحللنا من مذهب أبى حنيفة فى عدة المرأة إذا أنكرت الحيض . وعملنا بقول الإمام مالك رضى الله عنه ورجعنا إلى الوصية الواجبة فيمن مات فى حياة والده وترك أولادا . وأعرضنا عن الحجب لمصلحة هؤلاء الصغار وشفقة عليهم ، فكان ذلك عدلا اجتماعيا بارعا صدر تمشيا مع المصلحة العامة ومنعا للفساد . فلماذا لا نسير فى خطة الإصلاح الرشيدة ونتابع هذا العلاج بخطوة جريئة . ونراجع مسألة اشتراط الولى فى عقد الزواج حتى نحسم الداء ونسد باب الشر برتاج من حديد ؟ .

لماذا لا ننصف قول الأئمة الثلاثة : مالك والشافعى وأحمد رضى الله عنهم فى اشتراط الولى فى عقد الزواج ؟ مع أن قولهم باشتراط الولى فى عقدة النكاح قوامه الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح والتجربة الناضجة ، وكيف لا نعاود النظر فى هذه المسألة بعد ما رأينا من حوادث شيبت الرأس وشريعتنا ولله الحمد صالحة لكل زمن وموافقة لكل عصر .

وإذا كنت أبصر بصيصا من الأمل فى علماء المساجد ورجال القضاء ومدرسى الأزهر . حيث أراهم يجددون فى أبحاثهم ولا يتقيدون فى فتوى بمذهب معين . ويستعينون فى تمحيص الرأى بالكتاب والسنة ومنشأ ذلك شريعتهم الغراء . لأنها شريعة التجدد والتطور وهى براء من الجمود . ولا تحب من أتباعها أن يخروا للأقوال صما وعميانا فإنى أتقدم لقراء مجلة المساجد « منبر الاسلام » بخلاصة بحثى حول موضوع اشتراط الولى فى عقد الزواج . وهم الصفوة من رجال الذين رجاء أن أكون موفقا فيما أرى ، ومستقيما على خطة سليمة ترضى رجال الاصلاح فى هذا البلد الأمين ، وعمدتى فى البحث الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح رضى الله عنهم ، وسأعرض كلام الفريقين فى إطار واضح أمام نظر القارئ وأترك له الحكم قبل أن أبدى رأيى حتى لا يتأثر بأى تعليق على أى دليل ، ثم أعقب ذلك بترجيح الرأى الذى أراه مستنداً إلى الأدلة القويمة التى لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، وأوازن بين الآراء لنرى أيها أقوم قيلا وأهدى سبيلا ، وسيدرك القارئ المثقف بفطرته السليمة المسلكَ إلى الحكم واضحا .

أدلة القائلين باشتراط الولى :

أولا : يقول الله عز وجل فى التنزيل الحكيم مخاطبا الأولياء الذين بيدهم عقدة النكاح فى سورة البقرة : (ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم) — (وإن عزموا الطلاق فان الله سميع عليم) — (وإذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أوسرحوهن بمعروف ولاتمسكوهن ضرارا) — (ولاجناح عليكم فيما عرضتم به من خطبة النساء أو اكننتم فى أنفسكم علم الله أنكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سوا إلا أن تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله) — (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) .

وفى سورة النساء : (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً) — (ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ماقد سلف) — (ويستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن) .

وفى سورة المائدة : (اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى أخدان) .

وفى سورة النور : (وأنكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وإمائكم إن يكونوا فقراء يغنهم الله من فضله) وفى سورة الممتحنة : (فإن علمتموهن مؤمنات فلا ترجعوهن إلى الكفار لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن وآتوهم ما أنفقوا ولا جناح عليكم أن تنكحوهن إذا آتيتموهن أجورهن ولا تمسكوا بعصم

الكوافر) — وفى سورة الطلاق : (فإذا بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوى عدل منكم وأقيموا الشهادة لله) .

ثانياً : من السنة الصحيحة نروى هذه الأحاديث التى تتفق مع الآيات فى مخاطبة الأولياء وتبين أن الأمر بيدهم لا بيد النساء .

عن أبى موسى رضى الله عنه عن النبى ﷺ (لا نكاح إلا بولى) رواه ابن ماجة والحاكم وصححاه .

عن عائشة رضى الله عنها أن النبى ﷺ قال (أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل فنكاحها باطل) رواه الخمسة .

وفى رواية أبى داود الطيالسى عنها (لا نكاح إلا بولى وأيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل باطل باطل) .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تزوج المرأة المرأة ولا تزوج المرأة نفسها فإن الزانية هى التى تزوج نفسها) رواه ابن ماجة والدارقطنى ووثقاه .

وعن عمران بن حصين عن النبى ﷺ (لا نكاح إلا بولى وشاهدى عدل) رواه أحمد . وعن عائشة زيادة (فإن تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له) .

وعن عكرمة بن خالد قال جمعت الطريق ركبا فجعلت امرأة منهن ثيب أمرها بيد رجل غير وليها فأنكحها فبلغ ذلك عمر فجلد الناكح والمنكح ورد نكاحها) رواه الشافعى والدارقطنى .

وعن أم سلمة رضى الله عنها لما بعث رسول الله يخطبها قالت ليس أحد من أوليائى شاهداً ، فقال رسول الله ليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك فقالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله فزوجه) رواه أحمد والنسائى .

وعن معقل بن يسار قال كانت لى أخت تخطب إلى فأتانى ابن عم لى فأنكحتها إياه ثم طلقها طلاقا له رجعة ثم تركها حتى انقضت عدتها ثم خطبت إلى فأتانى يخطبها فقلت لا والله لا أنكحها أبدا ففىّ نزلت هذه الآية (وإذا طلقتم النساء

فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن) فكفرت عن يمينى وأنكحتها إياه — رواه البخارى وأبو داود والترمذى — وفى رواية البخارى (وكان رجلا لا بأس به وكانت المرأة تريد أن ترجع إليه) .

ثالثاً : أقوال خواص أصحاب رسول الله وزوجاته فى شأن الولى :

قال عمر بن الخطاب : (لا تنكح المرأة إلا بإذن وليها أو ذوى الرأى من أهلها أو السلطان) .

وقال ابن عباس : (البغايا اللائى ينكحن أنفسهن بغير الأولياء) .

وعن على بن أبى طالب (أنه كان يضرب الناكح والمنكح ويفرق بينهما) .

وسئل الحسن بن على عن امرأة خطبت ووليها غائب بسجستان أيزوجها قريب غير وليها الخاص؟ فقال اكتبوا إليه ليحضر أوليأذن فقالوا إن الخاطب لا يصبر. قال الحسن فليصبر كما صبر أصحاب الكهف .

وعن عائشة : (ليس إلى النساء نكاح) .

وقالت زينب بنت جحش تخاطب نساء النبى ﷺ مفتخرة (كلكن زوجكن آباؤكن أما أنا فزوجنى رب العالمين من فوق سبع سموات) .

وقال ابن المنذر لا يؤثر عن أصحاب رسول الله خلاف ذلك ، وقال الشعبى ما كان أحد أشد من أصحاب رسول الله فى النكاح بغير ولى — فكان عمر يجلد ويفرق وكان على يضرب ويفرق ومن مثل عمر الفاروق صلابة فى الحق ومن مثل على علما وفضلا ؟

رابعاً : يظاهر القول باشتراط الولى السلف الصالح من التابعين وغيرهم ، منهم جابر بن زيد ومكحول وابن شبرمة وابن أبى ليلى وسفيان الثورى والشافعى وأحمد ومالك بن أنس وأبو يوسف ومحمد بن الحسن من أئمة الحنفية واسحاق وابن المبارك وجمهور أهل العلم على ذلك مستقيمون .

أدلة القائلين بعدم اشتراط الولى :

أولا : يقول الله فى كتابه العزيز مسنداً أمر الإنكاح إلى الزوجات ومضيفاً إليهن جواز التصرف فى العقد على أنفسهن : فى سورة البقرة (فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن إذا تراضوا بينهم بالمعروف) — (فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف) — (فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره) — هذا ولم أجد آيات تعاضد تلك الآيات غير ما ذكر .

ثانياً : فى السنة الثابتة أحاديث ظاهرها ينادى بعدم اشتراط الولى فى عقد الزواج اتخذت دليلا لجواز أن تباشر المرأة عقدها بنفسها .

فعن ابن عباس رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (الثيب أحق بنفسها من وليها والبكر تستأذن) رواه الجماعة إلا البخارى .

وعن خنساء بنت خزام الانصارية (ان أخاها زوجها وهى ثيب فكرهت ذلك فأتت رسول الله ﷺ فرد نكاحها) رواه الجماعة إلا مسلما .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ (لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن قالوا يارسول الله وكيف اذنها قال ان تسكت) رواه الجماعة .

وعنه أيضاً قال قال رسول الله (تستأمر اليتيمة فى نفسها فإن سكتت فهو اذنها وان أبت فلا جواز عليها) رواه الجماعة إلا ابن ماجة .

وعن ابن عباس رضى الله عنه (ان جارية بكرا أتت رسول الله ﷺ فذكرت ان أباها زوجها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ) رواه أحمد وأبو داود وابن ماجة .

ثالثاً : لم أجد فيما قرأت قول صحابى إطلاقا يجيز ان تلى المرأة عقد زواجها بنفسها بغير ولى خاص أو عام والذى أثر عنهم اشتراط الولى كما سبق .

رابعاً : يقول بجواز مباشرة المرأة لعقد النكاح وان الأمر إليها لا إلى وليها

– الإمام أبى حنيفة وزفر والشعبى والزهرى والأوزاعى – وعن داود اشتراط الولى فى البكر دون الثيب وفى رواية عن مالك انه يجوز لغير الشريفة أن توكل غير وليها فى عقدة النكاح .

هذه هى أقوال الفريقين مفصلة الأدلة . واضحة المعالم ، وقد تحريت الأمانة فى النقل من المصادر المعتمدة – وللقارئ الكريم بعد ذلك ان يلقى نظرة فاحصة تتخلل طوايا هذه البراهين وان يسبر غورها من حيث اللفظ ودلالته على المعنى ثم يعرض المسألة على العقل غير متحيز إلى فئة أو متعصب لمذهب ، وأن يخلع رداء التقليد ويتجرد للبحث الحر النزيه وان لا يتخوف من نقد المتحدثين ولمز طلاب حرية المرأة وغمز السيدات المتعلمات ما دام يبغى الحق ويطلب الاصلاح الاجتماعى والخلقى فسيجد ان شاء الله الحكم سافرا ، والحقيقة أمامه ماثلة وعلى الله قصد السبيل .

الموازنة والترجيح بين هذه الأقوال :

١ : إذا أمعنا النظر فى جملة الآيات القرآنية التى أوردها الفريقان وجدنا ان ظواهر الآيات تظاهر من يقول باشتراط الولى لأنه خاطب الرجال ولم يخاطب النساء أو بالتالى خاطب الأولياء الذين يعنيهم أمر بناتهم . فقوله تعالى «ولا تنكحوا المشركات – وقوله « ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا » نص قطعى فى الأمر – ولو أراد المرأة لأسند أمر الإنكاح إليها – ولقال ولا تنكحن المشركين حتى يؤمنوا – وهكذا فى قوله تعالى (ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب أجله – وأنكحوا الأيامى منكم) إلخ الآيات الواردة – وأما ماورد من اسناد النكاح إليهن فى قوله تعالى « فلا تعضلوهن ان ينكحن أزواجهن » فقد أسند العضل لوليها وأمره ان يجيز اختيارها ولا يحجر عليها : ومن سبب نزول الآية يعرف ان الأمر للأولياء . ولذلك كفر معقل بن يسار عن يمينه وردها

لابن عمها . ولو كان الأمر إليها وحدها لباشرت عقدها ولم يكن هناك حاجة لكفارة اليمين .

وأما قوله تعالى « حتى تنكح زوجا غيره » فالمراد بالنكاح هنا « الوطء » لأنه تحليل لزوجها الأول ولن يكون هناك حل إلا بالوطء لحديث حتى تذوق عسيلته ويذوق عسيلتها .

وأما قوله تعالى : « فإذا بلغن أجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن بالمعروف » فالمراد عدم الحجر عليها فى طلب الزواج وترك التثريب عليهن فى هذه الناحية فليست نصا فى استبدادها بمباشرة عقدها بنفسها كما يقولون .

ب : إذا تتبعنا الأحاديث وهى الشارحة للقرآن والمبينة للأحكام وجدنا أن لفظها ومعناها يقول باشتراط الولى فى عقد الزواج ففى أحاديث : لا نكاح إلا بولى — ولا تزوج المرأة المرأة — وليس إلى النساء نكاح — فإن تشاجروا فالسلطان ولى من لا ولى له — صريح اللفظ الذى لا يحتمل التأويل : اشتراط الولى عن المرأة . وحديث : « أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل » فليس المراد أن وليها لو أذن (لها أن تباشر بنفسها) — لا — وإنما المراد إذا أذن وليها تولى غيره إنكاحها أخذا من حديث « لا نكاح إلا بولى » ويشهد لذلك حديث أم سلمة وحديث معقل فحديث أم سلمة قالت « يارسول الله ليس أحد من أوليائى شاهداً » وأقر الرسول قولها ولم يطلب إليها أن تباشر العقد بنفسها بل أمرت ابنها عمر أن يزوجها من رسول الله .

وحديث معقل : حين أعضل أخته عن الزواج وأقسم ليؤكد العضل وكانت أخته تميل لزوجها السابق وترغب فى العودة إليه . فلو كان الأمر إليها وحدها لنص فى الآية على مباشرتها للزواج ولم تكن هناك حاجة إلى تكفير يمين أخيها فأراد الله أن يعطى للولى حقه فى تولية العقد وللمرأة حقها فى تنفيذ رغبتها وذلك غاية الإنصاف .

وأما الأحاديث التى وردت لبيان أن الأمر بيد المرأة واتخذها بعض الأئمة دليلا لجواز ان تباشر المرأة العقد بنفسها فظاهرها غير مراد . ومن مراجعة منطوقها يتبين ان الأمر للولى فى مباشرة العقد ، وللمرأة من حيث الاختيار ، فحديث « لا تنكح الأيم حتى تستأمر ولا البكر حتى تستأذن » ينادى ولى الأمر فى النكاح أن يطلب اللفظ الصريح من الأيم أو الثيب بعبارة أخرى ولا يكتفى بالسكوت ، أما البكر فيكتفى منها بالسكوت . . وغاية ما يؤخذ من الحديث ان الولى لو أجبر يكون العقد باطلا وليس هذا موضوع النزاع .

وحديث بنت خزام الانصارية — يشهد لذلك فان اخاها زوجها وهى ثيب وقد كرهت ما اختاره أخوها فرد الرسول نكاحها ، ليبين لأمته انه ليس للأولياء ان يجبروا بناتهم او ان يستبدوا بهن فى اختيار الأزواج .

وحديث الجارية البكر ، لما زوجها أبوها وهى كارهة فخيرها النبى ﷺ ، فأقرت أباها على زواجه ، وقالت « إنما فعلت ذلك لأبين للنساء ان الخيرة لنا لاللرجال » . كما ورد فى بعض الأحاديث الصحاح وعلى هذا يخرج حديث « الثيب أحق بنفسها من وليها » وحديث « ليس للولى مع الثيب أمر » فإن المراد أحق بنفسها فى التعيين ولا بد من أخذ رأيها صراحة فيمن تريد نكاحه .

والذى يجعلنا نؤول الأحاديث على هذا النسق انه لم يصل إلينا اثارة من علم تشير إلى ان أصحاب رسول الله أباحوا للمرأة مباشرة عقد زواجها — ولم يُروَ شىء من هذا إطلاقا بل الذى أثر عنهم انهم كانوا يشددون فيمن زوجت نفسها بواسطة رجل غير وليها فكانوا يفرقون ويجلدون ويضربون من أقدم على هذا ؛ وليس فى أيدى من يقول بجواز أن تباشر المرأة عقدها نص صريح ، وكل دليلهم القياس فقد قاسوا الزواج على البيع ، وهو قياس غير معتبر لأنه قياس مع وجود النص ولا قياس مع النص كما يقول الفقهاء — قال الحاكم : أحاديث الولى فى عقد الزواج صحت روايتها عن أزواج النبى ﷺ : عائشة وأم سلمة وزينت بنت جحش ثم

سرد ثلاثين صحابيا وقال العلامة صديق بن حسن القنوجى البخارى: « الأدلة على اعتبار الولى وانه لا عاقد سواه ، وان العقد من المرأة لنفسها بدون إذن وليها باطل قد رويت عن جماعة من الصحابة فيها الصحيح والحسن فاعتباره متحتم وعقد غيره مع عدم عضله باطل بنص الأحاديث »

وقال العلامة ابن حزم فى المحلى « أقوال من يقول بعدم اشتراط الولى فى عقد الزواج لا متعلق لها من كتاب ولا بسنة صحيحة ، ولا بقول صحابى ولا بمعقول ولا قياس صحيح ولا رأى سديد وهذا لا يقبل إلا من رسول الله الذى لا ينطق عن الهوى »

وقال صاحب الحجة البالغة : « اشتراط الولى فى النكاح تنويه بأمر الأولياء واستبداد النساء بالنكاح وقاحة منهن منشؤها قلة الحياء، واعتداء على الأولياء، وعدم اكتراث بهم والنكاح اشهار وأحق التشهير ان يحضر أولياؤها ولا يجوز أن يحكم فى النكاح النساء خاصة لنقص عقولهن ، وسوء فكرهن فإنهن لا يهتدين للمصلحة وربما رغبن فى غير الكفء وفى ذلك عار على قومها فوجب ان يجعل للأولياء شىء من هذا الباب لتسد المفسدة »

جـ : وما على المنصف إلا أن يراجع الآثار التى سلفت عن عمر وعلى وعن عبد الله بن عباس وعن عائشة وزينب بنت جحش والحسن بن على وسيقتنع معى بأن اشتراط الولى فى عقدة النكاح لا بد منه شرعا وعقلا وتجربة — وأما قول ابن رشد فى البداية بأن أدلة الفريقين متعادلة وكلها محتملة ولا نص فى الموضوع فقد رد عليه صاحب سبل السلام جـ ٣ وكفانا مؤونة النقل حيث قال ان كلام ابن رشد متهافت وساقط ، ولا يرتكز على أصل ثابت فمن أراد المزيد فليرجع إلى بداية المجتهد وإلى سبل السلام ص ١٦٠ جـ ٣

ء : والانصاف يقتضينا ان نقول انه لاتعارض بين الأحاديث وان الطرفين يلتقيان ، لو نظر كل طرف نظرة الصحابة وفقهوا الأمر كما فقهوا ، ولكنهما

تباعدا فاتسعت شقة الخلاف . وقد أراد الرسول بهذه الأحاديث المتفرقة والمتباينة فى ظاهر الأمر ان يعطى للرجل حقه وللمرأة حقها فأعطى الرجل حق الولاية فى العقد وأعطى المرأة حق الاختيار والتعيين . فلا إكراه ولا استبداد . فأحاديث ـ لا نكاح إلا بولى ـ والأيم تستأمر ـ او أحق بنفسها ـ متفقة المعنى ، متحدة الروح ، مشتقة فى المغزى ، والغرض الأسمى منع الآباء او الأولياء من الاستبداد فيزوجونها لمن شاءوا ويلحقونها بمن أرادوا كأنها سائمة من السوائم او متاع يلقى بغير حساب . فأراد الرسول ان يكرم المرأة وان يبين للرجال انها إنسان له عقله ومشاعره ، وله رأيه وتوجيهاته فأمر الأولياء ، ان يؤخذ رأيها لتشعر المرأة بحريتها وكرامتها ، كما أمر المرأة ان لا تخرج عن سلطان الأولياء او تتمرد على اسرتها فترتبط بمن تشاء وتزدرى بمكانة الأبوة والأخوة فيؤدى ذلك إلى مصائب لاتقف عند حد ، وتثير فى الجو فتنا لايعرف لها مدى ، فالرأى الوسط والحكم الصائب والقول الحق ، ان يباشر الولى عقد الزواج بعد الإذن والاختيار ، وان تتخلى البنت عن المباشرة لأوليائها بعد ان تعلن رأيها وتظهر رضاءها . وفى ذلك تكريم لأسرتها، واعتراف بكرامتها، وصيانة لسمعتها، وسياج لشرفها ودليل على وفور عقلها وبعد نظرها وهناءة لمستقبلها .

وبعد : فيأيها الآباء : يقول المصلح الأكبر محمد بن عبد الله رسول الله : « آمروا النساء فى بناتهن » ويقول : « إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه وإلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » صدق رسول الله ــ وفقنا الله للرشد ، وهدانا إلى الصراط المستقيم .

سليمان حسن عبد الوهاب

إمام وخطيب مسجد تمراز بالاسكندرية

التّاريخ الإسْلامي

تاريخ لم ينسه التاريخ :

صفية بنت عبد المطلب

جلس الشيخ الجليل عبد المطلب بن هاشم يوما كعادته بين أحضان الكعبة المكرمة ، يحف به آله وأبناؤه ، ولم يكن مستريح النفس بل دائم التطلع إلى الأفق كأنه ينتظر حادثا جديدا ، ولم يطل به المقام حتى أطل عليه أحد أتباعه وهمس فى أذنه ، فقام عبد المطلب إلى زوجه الجديدة الحبيبة هالة بنت وهب أخت آمنة ، كان ذلك فى سنة ٥٦٧ م وقد ولدت له بنتا فى صفاء السماء ورقة الماء وهى صفية رضى الله عنها .

لم تكن صفية بنته الجديدة من زوجته الحبيبة هالة هى أولى بناته أو أبنائه ، ولم يفرح بها لحاجته إلى الولد ، وإنما ذلك لأنه أحس بشبابه الفائت يتدفق من جديد فى المولودة السعيدة ، وبحياته الطويلة تمتد فى هذا النسل الجديد ، ولأنها من الزوجة الجميلة الصغيرة التى خطبها لنفسه فى اليوم الذى خطب أختها آمنة لولده الكريم عبد الله .

كان عبد المطلب يومئذ على أبواب الحلقة الثامنة من عمره ، وقد اكتملت فيه عوامل الخير وأسباب الوجاهة والجاه ، فهو إذ ذاك سيد قومه ومفزع أمته عند النوائب ، متحرراً من عبادة غير الله ، بعيداً عن الظلم والبغى ، يدعو دائما إلى مكارم الأخلاق ، فإذا جاء شهر رمضان صعد حراء للتعبد ؛ يطعم المساكين ، ولا يشرب الخمر ، ولا يقرب الزنا ، ولا يطوف بالبيت عريانا ، إلى غير ذلك من الصفات المحببة التى دعا إليها حفيده بعد محمد ﷺ على لسان الوحى الأمين .

بين أحضان هذا الوالد الكريم ووالدتها العزيزة الحسيبة نشأت صفية رضى الله عنها ، ومن هذا المعين الصافى تغذت ، فكانت صورة من صور الكمال والجلال ، وآية من آيات الجمال ، تنعم مع أخويها الشقيقين حمزة والمقوم بين الوالدين الكريمين حتى إذا كانت سنة ٥٧٨م مات عبد المطلب ، فأصبحت هالة لهم الأم والأب معا ، تضفى على صفية وعلى أخويها من حنانها ، ولم يزل الأمر كذلك ، حتى إذا كانت سنة ٥٨٧ م تزوجت صفية بالحارث بن حرب بن أمية ، ولم تطل حياتها معه ، بل هلك وتركها ، ولم يذكر التاريخ نسلا لها منه ، بل لعل أيامها لم تطل حتى خطبت إلى العوام بن خويلد أخ السيدة خديجة رضوان الله عليها .

أقامت صفية رضى الله عنها مع زوجها العوام وقد اكتمل أمرها ، فهى يومئذ فى الحلقة الثالثة من عمرها المديد تحيا فيه وتعيش فى كنفه ، وتسعد فى جواره ، وتقوم على تربية ولديها منه الزبير والسائب ، ولكن الله عز وجل أخذ زوجها الثانى الحبيب ، وهى لاتزال تطل على نهاية الحلقة الرابعة ، فكان الزبير ولدها أملها فى الحياة بعد أن لحق بأبيه ولدها الثانى السائب ، فترى فيه زوجها العوام وتشم منه ريح الحبيب الذاهب فى أجواف الأرض : أقامت على تربيته على خير ماتقوم به الأمهات ، من تقويمه وتهذيبه وغرس مكارم الأخلاق فى نفسه . تحدث التاريخ ان عمه نوفل بن خويلد عاتبها مرة فى شأن الزبير ابنها وضربها له ، فقال لها : ما هكذا يضرب الولد ، إنك لتضربينه ضربة مبغضة ، فقالت رضى الله عنها :

من قال أبغضه فقد كذب ، وإنما أضربه لكى يلب ، ويهزم الجيش ويأتى بالسلب ، ولا يكن لماله خبأ مخب ، يأكل فى البيت من تمر وحب .

بهذه التربية الصادقة قامت السيدة الجليلة على تقويم ولدها ، ونسيت حنان الأمومة فى سبيل واجبها نحو ولدها ، فأنجبت بذلك فتى من أعظم المسلمين شأنا ومن خيرتهم شجاعة وإيمانا وإدراكا لحقيقة الدين الحنيف ، ولم يكد يشرق دين محمد ﷺ حتى آمنا به وأجابا دعوته ، وكان الزبير فى يومئذ الثامنة من عمره ، وكان عمر صفية رضى الله عنها إذ ذاك فى نحو الثالثة والأربعين تقريبا .

آمنت رضى الله عنها وآمن الزبير ، فلم يعجب ذلك نوفل بن خويلد ، ولم يرض لنفسه أن يقف مكتوفا دون أن يقدم للباطل دليلا من نفسه على حبه له وعنوانا من تجبره على إذلال ابن أخيه الزبير ، وبعد أن كان يشفق عليه من حنان أمه صفية ويخاف على جسمه من تقويم أمه له ، ويتهمها زوراً بكراهيتها لولدها ، أصبح هذا الرجل يذيق الزبير ألوان العذاب فكان يعلقه فى حصير ويدخن عليه ، رجاء أن يرجع عن دين محمد ، وأن يعود إلى دين آبائه ، ولم يستطع ان يصل بإيذائه لصفية إلا فى صورة ولدها الزبير ، وقد فعل ذلك دون أن يرحم يتمه المبكر أو يرحم أمه فى فقيدها .

من أجل ذلك تركت صفية مكة ومعها ولدها الزبير وهاجرا إلى الحبشة مع المسلمين الذين هاجروا إليها حين أذن لهم الرسول الكريم بذلك .

أقامت صفية والزبير والمسلمون المهاجرون فى الحبشة ماشاء الله لهم الإقامة ، وصفية تقوم على بث الشجاعة والنجدة فى صغيرها ، وترعاه الرعاية الكاملة ، وتملأ نفسه عزة وقوة وتبث فى نفسه حياة الكرامة والحب لهذا الدين القويم ، وتعلمه أن الموت خير من حياة فيها ذل أو مهانة ، حتى عادت فتية فى فتوته ، وشابة فى شبابه ، فإذا به لا يجد أحب إليه من سيفه حين يدعوه الداعى إلى ذلك . تحدث التاريخ أن الزبير بعد أن رجع إلى مكة من الحبشة ، وفى يوم سمع أن النبى ﷺ قبض عليه المشركون ، فإذا به يخرج حتى وصل إلى الرسول الكريم فى أعلى مكة ومعه سيفه ، فقال له صلوات الله عليه : مالك يازبير؟ فقال أخبرت أنك أخذت، فصلى عليه النبى ودعا له ولسيفه .

وما تزال السيدة صفية وولدها يقيمان بمكة حتى أذن الله لرسوله بالهجرة إلى المدينة المنورة فهاجرا فيمن هاجر إليها ، وكان عمرها يومئذ الثانية والخمسين ، وهى مع ذلك قوية لاتخاف فى سبيل الله أحدا ، تكافح فى سبيل عقيدتها ، وتنافح عنه بنفسها ، ولما حدثت غزوة أُحد وهى فى الخامسة والخمسين من عمرها ، تقدمت

لتقاتل فى سبيل الله ، ووقفت مع الرجال تحارب أعداء الإسلام ، فعن حماد فى روايته عن هشام عن أبيه قال : إن صفية رضى الله عنها ، جاءت يوم أحد وقد انهزم الناس وبيدها رمح تضرب فى وجوههم فقال النبى ﷺ لولدها الزبير (يا زبير المرأة) لله هذه المرأة الجليلة التى لم يمنعها تقدمها فى السن عن القيام بواجبها والدفع عن دينها .

ولو كان النساء كمن رأينا لفضلت النساء على الرجال

ولما كانت غزوة الخندق وخرج النبى ﷺ وأصحابه ليدفعوا عن المدينة أعداءها وترك نساءه فى اطم يقال له فارع وكانت صفية معهن وهى إذ ذاك تطل على الحلقة السادسة ومعهن حسان رضى الله عنه جاء إنسان من اليهود فرقى الحصن قالت عروة بنت جعفر بن الزبير عن صفية رضى الله عنها قالت قلت لحسان قم فاقتله فقال رضى الله عنه لو كان فىَّ ذلك كُنت مع رسول الله صلوات الله عليه قالت صفية فقمت اليه فضربته حتى قطعت رأسه ، وقلت لحسان قم فاطرح رأسه على اليهود وهم أسفل الحصن فقال والله ما ذاك . قالت فأخذت رأسه فرميت به عليهم فقالوا قد علمنا ان هذا (يريدون النبى ﷺ) لم يكن ليترك أهله خلوا ليس معهم أحد فتفرقوا .

لم يكن حسان من رجال الحرب وإنما هو شاعر يحلق فى أجواء السماء ويذب عن الاسلام بلسانه وجنانه ، أما صفية فقد اجتمع لها من الشجاعة والجرأة ما استطاعت بهما ان تتغلب على ذلك العدو المخاطر فحفظت على بيت النبى الكريم ونسائه حياتهم وكأن النبى ﷺ قد نظر بعين الغيب فعلم ان أعداءه من اليهود سيكونون كعادتهم خائنين للعهد فترك المكان الذى فيه صفية مطمئناً لايخاف أحداً على آله ونسائه ما دامت صفية بينهم .

ولم ينس حسان رضوان الله عليه أمر صفية وشجاعتها بل ما يزال يذكرها ويحس من نفسه الوفاء لها فهو يقول مشيداً بها فى قصيدته التى مدح بها ولدها الزبير رضى الله عنهما إذ يقول :

أقام على عهد النبى وهديه حواريه والقول بالفعل يعدل
أقام على منهاجه وطريقه يوالى ولى الحق والحق أعدل
هو الفارس المشهور والبطل الذى يصول إذا ما كان يوم محجل
وإن امرأ كانت صفية أمه ومن أسد فى بيتـه لمرفل

صدق حسان فإن امرأ ربته صفية، وقامت على شأنه لجدير بالمدح وخليق بأن يكون فتى الفتيان.

ذلك ان صفية لها شأنها وجلالها فى الاسلام، فالرسول حين يخاطب أهله قرنها بالرجال من آله وخاطبها من أعالى الصفا، فلقد روى ان الرسول صلوات الله عليه، لما نزلت عليه الآية الكريمة (وأنذر عشيرتك الأقربين) صعد الصفا ونادى (يابنى عبد المطلب، يابنى هاشم، يابنى عبد مناف، ياعباس عم رسول الله ياصفية عمة رسول الله، إنى لا أملك لكم من الله شيئاً) أليس فى هذا التصريح، والذكر والنداء بالاسم دليل العناية والرعاية، وعلامة التقدير ثم الاستعداد لفهم أسرار الدعوة المحمدية وإدراك ما ينطوى عليه خطاب الرسول من إنذار وتحذير.

ولعظم مكانتها وسمو مقامها تجد ان ولدها الزبير كان دائماً يفخر بأنه ابن صفية فلقد روى ان الزبير وعثمان رضى الله عنهما تخاصما يوماً فقال الزبير أنا ابن صفية فقال له عثمان رضى الله عنه (هى أدنتك من الظل ولولاها لكنت ضاحيا) فهذه شهادة صحابى جليل بأسلوب رفيع قويم، فصفية قد قربت ولدها من ظل النبوة وأدنته من رسول الله ﷺ ولم ينكر الزبير على عثمان قوله بل هو يفخر بهذا الظل الظليل وينعم بهذا القرب القريب فهى التى أمدته من نفسها، وأروته من خلقها والفضل فى شجاعته إنما يرجع إليها ويرحم الله القائل:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الاعراق

وإنك لتعجب لها إذ تراها حين علمت بقتل شقيقها حمزة رضى الله عنه

والتمثيل به فى غزوة احد ؛ حقاً إنك لتجد عجباً فلقد روى انه لما قتل حمزة أقبلت لتنظر اليه ، فلقيها الزبير ولدها رضى الله عنه فقال : اى امة إن رسول الله يأمرك ان ترجعى قالت ولم ، وقد بلغنى انه مُثّل بأخى وذلك فى الله فما أرضانا بما كان من ذلك لأصبرن وأحتسبن إن شاء الله . فجاء الزبير فأخبره (صلى الله على رسوله محمد) فقال النبى ﷺ خل سبيلها فانثنت إليه واستغفرت له ثم أمر به فدفن رضى الله عنه .

أسلمت لله نفسها واستودعت أخاها فى جوار الله وصبرت فكانت مثلا كاملا فى الصبر والاحتمال، وما أعظمه من مثل تضرب به صفية للناس أجمعين مع أن الحبيب الذى مثل به شقيق نفسها وروحها وقطعة من فؤادها ولكنها احتملت ذلك إرضاء لنفسها القوية المؤمنة .

وبقيت رضى عنها تسعد بجوار رسول الله وتنعم بالحياة فى ظل الاسلام الحنيف وتعتز بولدها الزبير الذى امتد شبابها فيه حتى قبض رسول الله فإذا بصفية تتحرك عليها شجونها وتطفح أحزانها فتخرج باكية رافعة صوتها بقولها :

إن يوماً أتى عليك ليوم ... كورت شمسه وكان مضيئاً

ثم تسكت قليلا وتقول من مرثية لها فى رسول الله صلوات الله عليه .

لفقد رسول الله إذ حان يومه ... فياعين جودى بالدموع السواجم

وبقيت بعد رسول الله أعواماً ، وقد أصبحت على أبواب العقد الثامن ، وأدركت خلافة أبى بكر رضى الله عنه ، وأدركت أيضاً كثيراً من خلافة عمر رضى الله عنه حتى إذا كانت سنة ٢٠ هجرية انتقلت إلى رحمة الله بعد تلك الحياة الحافلة بعظائم الأمور وجلائل الأعمال . أما بعد فتلك صفحة من صفحات التاريخ المجيدة لا يصل إلى مقامها إلا الصفوة الممتازة من النساء او الرجال .

سعد الدين الشافعى

مفتش مساجد الفيوم

أعلام الإسلام

عبد العزيز المراغى

حملنى فضيلة الأستاذ الكبير مراقب الشئون الدينية بوزارة الأوقاف عبئا ثقيلا إذ طلب إلىَّ أن أكتب كلمة عن المغفور له الشيخ عبد العزيز المراغى بك كصديق له لأنه اطلع على المجلد الثالث من مجلة منبر الاسلام التى يصدرها قسم المساجد وكان الفقيد يغذيها بقلمه ووافر علمه فهاله وحز فى نفسه ان احدا لم يكتب عنه شيئا ، فلبيت الطلب وليس اشق على الصديق ان يتحدث عن صديقه بعد وفاته والشيخ عبد العزيز كان صديقى ومن اعز الاصدقاء بل كان اخا صادق الاخاء صافى الود شديد الوفاء وكان موضع سرى ونجواى ومتنفس همى وشكواى مانابنى كرب الا كان لى من جواره سلوى ومن فضله ورأيه عزاء اى عزاء. ألفنى وألفته وامتزجت روحى بروحه .

وكنا كندمانى جزيمة حقبة من الدهر حتى قيل لن نتصدعا
فلما تفرقنا كأنى ومالكا لطول اجتماع لم نبت ليلة معا

ولم يكن الشيخ عبد العزيز لصديق دون صديق بل كان لجميع اصدقائه روحا وريحانا وبرا وحنانا . وصدق بعض اصدقائه اذ يقول لقد كان نسيما لاصدقائه جميعهم وكان عيبه فى صداقته الاسراف فيها فكان يفنى فى أصدقائه ، ويمتزج بهم ويبذل ما يستطيع فى مودتهم ومجاملتهم ، لايضن عليهم بجهد ولا جاه ، ولا يتحرج مما يتحرج منه بعض الاصدقاء ولا يؤمن بالاثر القائل « احبب حبيبك هونا ما عسى

ان يكون بغيضك يوما ما » ولعله قد جنى من بعض اصدقائه بعض الشوك فيما جنى من ورد وريحان .

ولقد صادقته وهو طالب كما صادقته وهو موظف ذو خطر ؛ فكان فى كلتا الصداقتين أشبه بالماء من الماء صفاء واشراقا ولطفا وارواء . لم يشب صفاء صداقته جلال المركز ولا جاه الوظيفة ؛ وكذلك الاصل الكريم والخلق القويم . وكان له فى الصداقة والاصدقاء ميزان خاص وتقدير خاص لا يثقل ميزان صداقته ان يكون الصديق من ارباب الحظوة او المال فكان له فى جميع الطبقات اصدقاء يخلصون له الود . ويبادلونه الوفاء ؛ ففجيعتى فى عبد العزيز كصديق فجيعة مريرة ، وعبرتى به كعَبرتى عليه لا تزول ولا تنقضى .

فان ينقطع منك الرجاء فأنه سيبقى عليك الحزن ما بقى الدهر

هذا جانب الصداقة فى عبد العزيز .

اما الجانب العلمى منه فقد كان غيرى من العلماء اولى بالحديث عنه ؛ غير انى لطول صداقتى له وبما كنت اسمعه عنه من اخوانه العلماء فى هذه الناحية استطيع ان ارسم له صورة ان تكن مجملة فهى واضحة صادقة .

لقد كان فى طلبه العلم سابقا لأخوانه مجليا بينهم . حدث عنه احد اساتذته وهو الآن من كبار المسئولين بالأزهر . قال « لقد كنت استحى منه وهو طالب وكان حريا ان يكون على كرسى التدريس بين المدرسين » وحسبه فى الدلالة على تفوقه العلمى انه اختصر مدة الدراسة فى الازهر بما فيها التخصص الى احدى عشرة سنة وكان ترتيبه فى الامتحان الاخير الاول بتفوق .

واستطاع وهو طالب ان يجيد اللغة الانكليزية وشغف بحب الادب والشعر مع حافظة قوية ؛ فحفظ منه وهو طالب نحو عشرين الفا من مختاره وقل ان تمر مناسبة دون ان يستشهدلها بالبليغ من الشعر او النثر ، وكان لروحه الادبية اثرها

حتى فى احاديثه الدينية فكان يرصعها غالبا بفرائد الشعر .

وقد وهب حب الاطلاع وقلما وقع نظره على كتاب دون ان يلم بما فيه او يفيد منه . وكان محصوله العلمى موفورا فى كل فن ؛ فمكنه ذلك من ان يدرس اكثر العلوم الأزهرية فى يسر وسهولة وكان موضع التقدير من اخوانه وموضع النظر من رؤسائه ، وكان على رأس كل قائمة فى المهمات العلميه .

انتدب فى أول بعثة أزهرية إلى أوربا وهى بعثة فؤاد الأول — طيب الله ثراه وجعل الجنة مأواه — فسافر إلى انجلترا وسرعان ما لفت إليه الأنظار بكفايته ولباقته فاختير للإذاعة العربية بلندن . وانابه عنه الأستاذ الأكبر المغفور له الشيخ المراغى فى مؤتمر الأديان العالمى والقى عنه بالانكليزية رسالة «الزمالة العالمية» التى نالت إعجاب المؤتمر وتقديره .

وقد عرفه العامة عن طريق المذياع فى أحاديثه العامة وفى دروسه الخاصة فى حضرة جلالة الملك فاروق — محدثاً دينياً اجتماعياً حلو الحديث ، واضح المعنى سهل الأسلوب ، سليم العبارة ، يربط بين مسائل الدين والواقع برباط لايخفى على السامعين مغزاه ، ولا ما يرمى إليه فأحبوه واستزادوه . وعرفه القراء عن طريق المجلات الدينية كاتباً عميق الفكرة منطق الحجة قوى البرهان غيوراً فى أحاديثه ، وكتابته على دينه وعلى سمعة الأزهر وكرامة العلماء .

وله طائفة كبيرة من الأحاديث الدينية فى المذياع ، وجملة من المحـاضرات الملكية خرج بها عن حيزها الدينى التقليدى إلى ميادين الحياة الاجتماعية ليعالج بها بعض مشاكلنا الحاضرة .

وله من المؤلفات رسالة قيمة فى « الحقوق فى الشريعة الإسلامية » وهى التى نال بها منصب عضوية جماعة كبار العلماء ؛ وكتاب فى تاريخ العلامة ابن تيمية طبع ضمن سلسلة أعلام الإسلام .

وقد رشحته كفايته العلمية لشغل المناصب الدينية الكبرى على صغر سنه فعين منذ عشر سنوات عضواً بلجنة الفتوى بالأزهر . واختير اماما للحضرة العلية الملكية فشغل مكانه بجدارة ونال الاعجاب والتقدير .

وانتخب عضواً بجماعة كبار العلماء سنة ١٩٥٠ بأجماع الآراء وكان أصغر الأعضاء سنا ولعله أصغر الأعضاء فى تاريخ جماعة كبار العلماء بعد شقيقه الأستاذ الاكبر الامام المراغى .

وكان عضواً عاملا بلجنة الدراسات التاريخية بالقاهرة ؛ وانتدب لامتحان طلبة الحقوق بكلية غردون منذ ثلاثة أعوام .

وقد ولى التدريس بمعهد الاسكندرية ، وبكليتى الشريعة وأصول الدين كما ولى مشيخة معهد الزقازيق وكان فى هذه المناصب موضع اجلال الطلبة وتقدير العلماء وعقد بينه وبينهم صلات روحيه وعلمية يذكرونها فخورين معتزين .

وقد ولد الشيخ عبدالعزيز فى سنة ١٩٠١ وتوفى فى سنة ١٩٥٠ .

هذه صورة صديقى عبدالعزيز وبرغمى أن أرسمها له باكيا راثيا ؛ وكان بودى أن أرسمها له ضاحكا مكرّماً حين تشرق له الدنيا ، وتبسم له الأيام ، وتحقق لنا فيه الآمال ؛ ولكن قضت الأقدار بما قضت فانا لله وانا اليه راجعون واللهم صبرا .

وقد كنت أرجو ان أملاك حقبة　　فحال قضاء الله دون رجائيا
ألا فليمت من شاء بعدك إنما　　عليك من الأقدار كان حذاريا

عبد الحميد رشوان

من أدبهم وأخبارهم

كيف ترد العدو صديقاً :

قال الله تعالى : « ادفع بالتي هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم » وقال الامام على كرم الله وجهه : عاتب أخاك بالإحسان إليه ، واردد شره بالانعام عليه ، وذكر ابن عائشة (١) ان رجلا من أهل الشام قال : دخلت المدينة فرأيت رجلا راكباً على بغلة لم أر أحسن وجهاً ولاسمتاً ولا ثوباً ولا دابة منه ، فمال قلبي إليه ، فسألت عنه ، فقيل لى هذا الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما ، فامتلأ قلبي له بغضاً ، وحسدت علياً أن يكون له ابن مثله ، فصرت إليه فقلت : أأنت ابن أبى طالب ؟ فقال : أنا ابن ابنه ، فقلت : فبك وبأبيك أسبهما ، فلما انقضى كلامى قال لى : أحسبك غريباً ، قلت : أجل ، قال : فمل بنا فإن احتجت إلى منزل أنزلناك ، أو إلى مال آسيناك ، أو إلى حاجة عاوناك ، قال : فانصرفت عنه ووالله ما على الأرض أحد أحب إلى منه .

وفى مثل هذا المعنى يقول محمود الوراق (٢) :

إنى شكرت لظالمى ظلمى وغفرت ذاك له على علمى

---

(١) هو إبراهيم بن محمد بن عبدالوهاب بن ابراهيم الإمام : أمير عباسى ، ثار على المأمون ، وسعى فى البيعة لإبراهيم بن المهدى ، فطلبه المأمون حين استتب له الأمر فاستتر وأراد اللحاق ببعض الثائرين فعلم به المأمون وقبض عليه وضربه بالسياط وحبسه ثم قتله وصلبه ، قال ابن الأثير : وابن عائشة أول عباسى صلب فى الإسلام ، قتل سنة ٢١٠ هـ — ٨٢٥ م .

(٢) هو محمود بن حسن الوراق : من فضلاء الأدباء ، أكثر شعره فى المواعظ والحكم ، روى عنه ابن أبى الدنيا ، مات فى عهد المعتصم نحو سنة ٢٣٠ هـ — سنة ٨٤٥ م .

ورأيته أسدى إلى يداً لما أبان بجهله حلمى
رجعت إساءته عليه وإحـ ـسانى ، فعاد مضاعف الجرم
وغدوت ذا أجر ومحمدة وغدا بكسب الظلم والإثم
فكأنما الإحسان كان له وأنا المسىء إليه فى الحكم
ما زال يظلمنى وأرحمه حتى بكيت له من الظلم

أخذ الوراق هذا المعنى من قول رجل من قريش لرجل قال له : إنى مررت بقوم من قريش يشتمونك شتما رحمتك منه ، قال : أفسمعتنى أقول إلا خيرا ؟ قال : لا ، قال : إياهم فارحم .

سعة صدر معاوية :

قال الإمام على كرم الله وجهه : آلة الرياسة سعة الصدر .

وكان معاوية واسع الصدر كثير الاحتمال ، وبذلك بلغ ما بلغ ، ونذكر من سعة صدره هذه القصة :

وفد أهل الكوفة على معاوية حين خطب لابنه يزيد بالعهد بعده ، وفى أهل الكوفة « هانىء بن عروة المرادى [١] » . وكان سيداً فى قومه ، فقال يوماً فى مسجد دمشق والناس حوله ، العجب لمعاوية ، يريد ان يقسرنا على بيعة يزيد وحاله حاله ، ما ذاك والله بكائن ، وكان فى القوم غلام من قريش جالساً فتحمل الكلمة إلى معاوية ، فقال معاوية : أنت سمعت هانئاً يقولها ؟ قال : نعم ، قال : فاخرج فائت حلقته ، فإذا خف الناس عنه فقل له : أيها الشيخ ، قد وصلت كلمتك إلى معاوية ، ولست فى زمن أبى بكر وعمر ، ولا أحب ان تتكلم بهذا الكلام فانهم بنو امية ، وقد عرفت جرأتهم وإقدامهم ، ولم يدعنى إلى هذا القول لك إلا

(١) هو أحد سادات الكوفة وأشرافها ، كان عبيد الله بن زياد يبالغ فى إكرامه الى ان بلغه ان مسلم بن عقيل « رسول الحسين الى اهل الكوفة » مختبىء عنده ، وكان ابن زياد مهتما بالبحث عن مسلم ، فدعا بهانىء وعاتبه فأنكر فأتاه بالمخبر فاعترف وامتنع عن تسليمه فغضب ابن زياد وضربه وحبسه ثم قتله سنة ٦٠ هـ — سنة ٦٨٠ م .

النصيحة والإشفاق عليك ، فانظر ما يقول فائتنى به ؛ فاقبل الفتى إلى مجلس هانىء ، فلما خف من عنده دنا منه فقص عليه الكلام ، وأخرجه مخرج النصيحة له ، فقال هانىء : والله يا ابن أخى ما بلغت نصيحتك كل ما أسمع ، وان هذا الكلام لكلام معاوية أعرفه ، فقال الفتى : وما أنا ومعاوية ! والله ما يعرفنى ، قال : فما عليك ، إذا لقيته فقل له : يقول لك هانىء : والله ما إلى ذلك من سبيل ، انهض يا ابن أخى راشدا ، فقام الفتى فدخل على معاوية فأعلمه ، فقال : نستعين بالله عليه .

ثم قال معاوية بعد أيام للوفد : ارفعوا حوائجكم — وهانىء فيهم — فعرض عليه كتابه فيه ذكر حوائجه ، فقال : يا هانىء ، ما أراك صنعت شيئاً ، زد ، فقام هانىء فلم يدع حاجة عرضت له إلا ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : أراك قصرت فيما طلبت ، زد ، فقام هانىء فلم يدع حاجة لقومه ولا لأهل مصره إلا ذكرها ، ثم عرض عليه الكتاب ، فقال : ما صنعت شيئاً ، زد ، فقال : يا أمير المؤمنين ، حاجة بقيت ، قال : ماهى ؟ قال : ان أتولى أخذ البيعة ليزيد ابن أمير المؤمنين بالعراق ، فقال : افعل ، فما زلت لذلك أهلا . فلما قدم هانىء العراق قام بأمر البيعة ليزيد بمعونة من المغيرة بن شعبة وهو الوالى بالعراق يومئذ .

أول خلع فى العرب :

زوج عامر بن الظرب [١] ابنته من ابن أخيه ، فلما اراد تحويلها قال لأمها : مرى ابنتك ان لا تنزل مفازة إلا ومعها ماء ، فانه للأعلى جلاء وللأسفل نقاء ، ولا تكثر مضاجعته ، فإذا مل البدن مل القلب ، ولا تمنعه شهوته ، فإن الحظوة فى المواقعة .

فلم يلبث إلا شهراً حتى جاءته مشجوجة ، فقال لابن أخيه : يا بنى ، ارفع عصاك عن بكرتك ، فإن كان من غير ان تنفر بك فهو الداء الذى ليس له دواء ،

---

(١) هو عامر بن الظرب العدوانى : حكيم العرب فى الجاهلية ، كانت العرب لاتعدل بفهمه فهماً ، ولا بحكمه حكماً ، وهو أحد المعمرين فى الجاهلية ، وأول من قرعت له العصا ، وكان يقال له : ذو الحلم .

وان لم يكن بينكما وفاق، ففراق الخلع أحسن من الطلاق وان تترك اهلك ومالك .
ثم رد عليه صداقها وخلعها منه . وهو أول خلع كان فى العرب .

من ظرف ابى دلامة :

كان أبو دلامة [١] — وهو شاعر ظريف حلو اللسان لطيف النادرة مقرب من الخلفاء والأمراء — على رقة دينه قد اختلف اليه نصرانى من موالى بنى أسد يتطبب لابن له ، وكان قد وعده ان برأ على يديه ان يعطيه الف درهم ، فبرأ ابنه وجاءه الطبيب مستنجزاً وعده ، فقال ابو دلامة : ان الدراهم ليست عندى ، ولكن والله لأوصلنها اليك . ادَّع على جارى فلان هذه الدراهم فانه موسر وأنا وابنى نشهد لك ، فليس دون أخذها شىء ، فصار النصرانى بالجار إلى ابن شبرمة [٢] قاضى الكوفة ، فسأله البينة ، فطلع عليه أبو دلامة وابنه ، ففهم ابن شبرمة وكان فطناً حصيفاً ، فلما جلس بين يديه قال أبو دلامة :

إن الناس غطونى تغطيت عنهم وإن بحثونى كان فيهم مباحث
وإن نبشوا بئرى نبثت بئارهم ليعلم قوم كيف تلك النبائث [٣]

فقال ابن شبرمة : من ذا الذى يبحثك يا أبا دلامة ؟ ! ثم قال للمدعى : قد عرفت شاهديك فخل عن خصمك ورح العشية إلى ، فراح إليه فغرمها من ماله .

(١) هو زند (بالنون) بن الجون ، شاعر مطبوع من أهل الظرف والدعابة ، أسود اللون ، كان أبوه عبداً لرجل من بنى أسد وأعتقه ، نشأ بالكوفة ، وأدرك آخر دولة بنى أمية ، ولم تكن له فى أيامهم نباهة ، ونبغ فى دولة بنى العباس، واتصل بالخلفاء فكانوا يستلطفونه ويغدقون عليه صلاتهم وله فى بعضهم مدائح، وكان يتهم بالزندقة لتهتكه ، وأخباره كثيرة متفرقة توفى سنة ١٦١هـ — سنة ٧٧٨م

(٢) هو عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن المنذر ، بن سعد بن ضبة بن أد ، ولى القضاء بالكوفة لطارق بن زياد خليفة عبد الله القسرى لما أقام بواسط .

(٣) النبث هو الحفر والنبائث جميع النبيثة وهى ما استخرجته من تراب بئر أو نهر . ضرب ذلك مثلا للمستور من العيوب .

الرشيد وعبدالملك بن صالح :

كان عبدالملك بن صالح (١) الأمير العباسى من أفصح الأدباء وأخطبهم ، وكان يتطلع إلى الخلافة ، فكانت حركاته تصل إلى الرشيد ، ولكن الرشيد – ابقاء عليه – كان يعاتبه ليعتذر ، ويحسن إليه ويبالغ فى إحسانه ليعدل عن خفى تدبيره وواسع آماله .

سايره الرشيد فقال له قائل : طأطئ من أشرافه ، واشدد من شكائمه ، وإلا فسد عليك ، فقال له الرشيد : ما يقول هذا ؟ قال : حاسد نعمة ، ونافس رتبة ، أغضبه رضاك عنى ، وباعده قربك منى ، وأساءه إحسانك إلى ، فقال له الرشيد: انخفض القوم وعلوتهم فتوقدت فى قلوبهم جمرة التأسف ، فقال عبدالملك : أوقدها الله بالتزيد عندك ! فقال الرشيد : هذا لك وهذا لهم .

يروى الأصمعى موقفاً لعبدالملك بين يدى الرشيد أذله فيه العقوق ، ولم يرفعه سحر البيان من وهدة الجحود والكفران :

قال الأصمعى : كنت عند الرشيد فدعا بعبدالملك بن صالح من حبسه فقال : ياعبدالملك ، أكفرا بالنعمة ، وغدرا بالسلطان ، ووثوباً على الإمام ؟! فقال : يا أمير المؤمنين ، بؤت بأعباء الندم ، واستحلال النقم ، وما ذاك إلا من قول حاسد ، ناشدتك الله والولاء ومودة القرابة ! فقال الرشيد :ياعبدالملك ، تضع

---

(١) هو عبدالملك بن صالح بن على بن عبدالله بن عباس ، أمير من بنى العباس ، ولاه الهادى إمرة الموصل سنة ١٦٩هـ وعزله الرشيد سنة ١٧١ هـ ثم ولاه المدينة ، وبلغه أنه يطلب الخلافة فحبسه ببغداد بعد يأسه من استقامة أمره سنة ١٨٧هـ . ولما مات الرشيد أطلقه الأمين وولاه الشام والجزيرة سنة ١٩٣ هـ فأقام بالرقة إلى أن توفى سنة ١٩٦ هـ سنة ٨١١ م كان أديباً مطبوعاً وخطيباً لسناً ، مهيباً موقراً لدى العامة والخاصة ، وجل حساد فضله ونباهة ذكره من الأدباء والوزراء ، قيل ليحي بن خالد البرمكى – لما ولى الرشيد عبدالملك على المدينة – كيف ولاه المدينة من بين عماله ؟ فقال : « أحب أن يباهى قريشاً ويعلمهم أن فى بنى العباس مثله » ولا تخلو هذه الكلمة من التحريض عليه .

لى لسانك وترفع جنـــانك بحيث يحفظ الله لى عليك ، ويأخذ لى منك ، هذا كاتبك ينبئ عن عملك ، فالتفت عبدالملك إلى كاتبه قمامة فقال : حقاً ، لقد رمت ختر أمير المؤمنين ! فقال عبدالملك : وكيف لا يكذب على يا أمير المؤمنين فى غيبتى من يبهتنى فى حضرتى ؟

فقال الرشيد : دع قمامة ، هذا ابنك عبدالرحمن ينبئ عنك بمثل خبر قمامة ، فقال : إن عبدالرحمن مأمور أوعاق ، فإن كان مأموراً فهو معذور ، وإن كان عاقا فما أتوقع من عقوقه أكثر .

وكتب الأدب تعج بأخباره مع الرشيد عتاباً وتنصلا ، ولعل جماع أمره مع الرشيد فى كلمة للرشيد عقب موقف عتاب : لقد نظرت إلى موضع السيف من عاتقه مراراً ، فنعفو عن قتله إبقاء على مثله .

أراد يحي بن خالد أن يضع من عبدالملك ليرضى الرشيد فقال له : ياعبدالملك بلغنى أنك حقود ! فقال عبدالملك : أيها الوزير ، إن كان الحقد هو بقاء الخير والشر ، إنهما لباقيان فى قلبى (١) فقال الرشيد : تالله ما رأيت أحداً احتج للحقد بأحسن مما احتج به عبدالملك .

---

(١) أخذ هذا المعنى ابن الرومى وزاد عليه فقال يمدح الحقد لعائب عابه :

لئن كنت فى حفظى لما أنا مودع ... من الخير والشر انتحيت على عرضى
لما عبتنى إلا بفضـل إبانة ... ورب امرئ يزرى على خلق محض
ولا عيب أن تجزى القروض بمثلها ... بل العيب أن تدان ديناً ولا تقضى
وخير سجيات الرجال سجيـة ... توفيك ما تسدى من القرض بالقرض
إذا الأرض أدت ريع ما أنت زارع ... من البذر فيهـا فهى ناهيك من أرض
ولولا الحقود المستكنـات لم يـكن ... لينقض وترا آخر الدهر ذو نقض
وما الحقد إلا توأم الشكر فى الفتى ... وبعض السجايا ينتهين إلى بعض
فحيث ترى حقـداً على ذى إساءة ... فثم ترى شكراً على حسن القرض

الشورى بين المدح والذم :

الشورى ممدوحة بكل لسان ، وحسبك ما ورد فيها من القرآن : « وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله » .

وما زال الناس يتغنون بشعر بشار :

إذا بلغ الرأى المشورة فاستعن برأى نصيح او نصيحة حازم
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة فإن الخوافى قوة للقوادم
وما خير كف أمسك الغل أختها وما خير سيف لم يؤيد بقائم

ولكن عبد الملك بن صالح الأديب القدير يذم المشورة فيبلغ من قلبك موطن الاقناع حيث يقول :

ما استشرت أحداً إلا تكبر علىّ وتصاغرت له ، ودخلتنى الذلة ، فعليك بالاستبداد ، فإن صاحبه جليل فى العيون ، مهيب فى الصدور ، فإذا افتقرت إلى العقول حقرتك العيون ، فتضعضع شأنك ، ورجفت بك ازكانك ، واستحقرك الصغير ، واستخف بك الكبير ، وما عز سلطان لم يغنه عقله عن عقول وزرائه ، وآراء نصحائه .

وسئل بشار : ما أحسن أبياتك فى المشورة ؟ فقال :

المستشير بين صواب يفوز بثمرته ، او خطأ يشارك فى مكروهه ، فقيل له : والله هذا أحسن من شعرك .

يوسف البيومى
المدرس فى كلية اللغة العربية

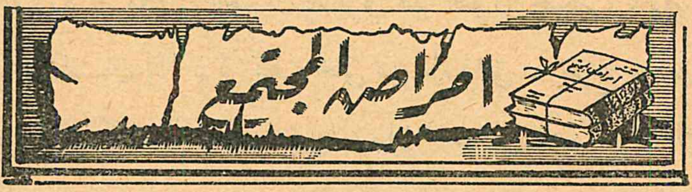

الغرور والمغرورون

قال لى صاحبي وهو يحاورنى :

ارأيت إلى ذلك الذى يتأنق فى بزته ، ويختال فى مشيته ، ويدق بقدميه الأرض ، وهو يذرعها بالطول والعرض ، وكأنه المفرد العلم الذى يملك ما بين طرفيها ، وليس من أحد غيره يدب عليها . . ؟

قلت : انه آدمى كسائر الاناسى ، لا تميزه عن الناس أصبع زائدة ، ولا تنفرد به دونهم أرومة تالدة ، فما بال شأنه كذلك ؟ .

قال : انه الغرور يا صاح ، ملك نفسه ، فركب رأسه ، فتوهم انه كل شىء ، وهو فى الحقيقة اتفه من لا شىء .

انه يكلم الناس من طرف انفه ، وينظر إلى الآخرين من فوق كتفه ، ويسير مزهواً كأنما هو الطاووس ، وأنت تراه وكأنه مومياء تسللت من ناووس ! .

قلت : وهل ترى ان مثل هذا الداء يستعصى على الدواء ، وانى لأعرف انك من الرءوس ، مخاطباً النفوس ؟

فابتسم صاحبي ابتسامة الرضا ، وكأننى باطرائه ، قد افلحت فى اغرائه ، فأخذ يبسط ما يرى لهذا الداء من دوائه ، قال :

ان هؤلاء الذين يملؤهم الغرور ، ويتملكهم حب الظهور ليس لهم من علاج إلا ان يذكروا قول الله سبحانه « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ثم

جعلناه نطفة فى قرار مكين » فانهم ان يذكروا هذا القول الحكيم ، يعرفوا الطريق المستقيم ، فالانسان إذا ذكر كيف خلق من ماء دافق ، يخرج من بين الصلب والترائب » وتأمل كيف جاء من ماء مهين ، وان اصله من طين ، وان التراب هو عنصره الأول فى الوجود ، وانه — ان قريباً او بعيداً — إلى التراب يعود ، إذا ذكر الانسان هـذا ، عرف كيف يمسك نفسه عن شرورها ، وكيف يكبح جماحها فلا يجاريها فى غرورها ، فهلا ترى معى ان خير علاج لهؤلاء هو هذا الادكار ، وما قد يتولد عنه فى النفس من عظة واعتبار ؟؟

لقد وصلت اسباب الحياة بينى وبين اناس من هذا الطراز ، فخبرتهم عن كثب ، وعرفت من أمرهم ما يستطيع كل خبير بالنفوس البشرية ان يعرفه ، افتدرى ماذا عرفت . . ؟

ان هؤلاء المغرورين يؤذون انفسهم من حيث لايشعرون ، ذلك أن الغرور يدفعهم دفعاً إلى الخوض فيما لا يقدرون عليهم ، فاذا هم بذلك على المركب الصعب معرّضون للتهلكة ، ولعلك ذاكر قصة ذلك الذى استبد به غروره فتوهم انه اقوى الأقوياء ، وزج بنفسه بين اللاعبين بالحديد ، أولئك الذين يتبارون فى رفع الأثقال ، فمن رفع منهم الأوزان الثقال ، اعتبر من الأبطال .

لقد مضى ذلك المغرور يدق صدره كلما رفع أحدهم وزناً ثقيلا ، ويزعم انه قادر على ان يرفع اضعاف ما رفع ، فلما تحدوه ووضعوه موضع الاختبار ، القى بنفسه فى النار ، إذ دفعه غروره لأن يحمل مالا طاقة له به ، فما كاد يرفع الحمل الثقيل بيديه ، حتى تسربت روحه من بين جنبيه ، فإذا هى فى قبضة الفناء ، وإذا هو يودع الحياة إلى غير لقاء .

انها قصة قد تكون من نسج الخيال ، ولكنها مطابقة لواقع الحال ، فقد عرفت اولئك المغرورين يحشرون أنفسهم فيما لا ناقة لهم فيه ولا جمل ، ويحملونها

من المخاطر فى سبيل إشباع نزواتهم مالا يحتمل ، وليس بعد هذا من سبيل إلى مهاوى الهلاك والدمار .

ثم ماذا وراء غفلة هؤلاء من ضروب الغفلة إذ يظنون ان امرهم سيظل خافياً على الناس إلى نهاية المطاف ؟ .

انهم لا يلبثون ان تتعرى حقائقهم ، فإذا هم يشار اليهم بالبنان ، فى اشارة الرضا والاستحسان ، بل اشارة الزراية والاستهجان ، وإذا هم فوق هذا مثار السخرية على كل لسان .

واطرق صاحبي برهة ، استغرقه التفكير خلالها ، ثم رفع رأسه وحدق فى الفضاء المترامى من حوله ، وأخذ يصل ما انقطع من حديثه فقال :

ان هذا الداء الوبيل يا صاح — داء الغرور اللعين — لا يركب إلا النفوس الضعاف ، ومن هنا تستطيع ان تحكم وأنت واثق مطمئن بأن اولئك المغرورين هم اضعف الناس نفوسا ، وأوفرهم شعوراً بالنقص ، فهم فى حاجة الى هذا الغرور ، او بعبارة اخرى إلى التظاهر وحب الظهور ، يلقون منه على ذواتهم الناقصة ما يكملون او يتوهمون انهم يكملون به نقصها .

قلت حسبك يا شيخ ، فقد أثرت فى خاطرى ذكرى حادث كنت قد نسيته وما انسانيه إلا الشيطان ، وها هو ذا يتمثل فى خيالى الآن كما وقع منذ زمان .

لقد كنت يومئذ صبياً يافعاً ، اقيم بين جدران قريتنا الهادئة الوادعة ، وللصبيان فى القرى غرام بأن يجالسوا القرويين الكبار على المصاطب فى امسياتهم للاستماع لما يروونه من نوادر ، وما يتندرون به من حكايات .

وكنت أعجب فيما بينى وبين نفسى لأمر كهل من شيوخ القرية ، عرف أوفر اهلها مالا ، وأوسعهم مزارع ، وأعزهم نفراً ، ولكنه يبدو دائماً فى ثوب عادى ان لم يكن أقل من العادى ، بينما الأقل منه يبدون فى ثياب زاهية غالية .

ولست ادرى ما الذى دفعنى انا الصبي اليافع لأن ابيح لنفسى مناقشة ذلك الكهل الأشيب الحساب .

قلت له : يا عم . . . أراك لاتلبس إلا هذا الثوب من القطن الباهت الصبغ ، بينما فلان ، وعلان ، وترتان . وهم أقل منك مالا وجاهاً يلبسون الجوخة الغالية ، والقطنية الزاهية ، فهل لك ان تفسر ما غمض عليّ من أمرك ؟ .

فضحك الرجل العجوز ملء شدقيه ، وحملني بين يديه ، وأخذ يطوح بي ذات اليمين وذات الشمال حتى خفت ان يقذف بي في الهواء ، ثم قال :

اى ولدى العبيط الساذج . . ان هؤلاء الذين ذكرتهم إنما يلبسون ما وصفته من الثياب الزاهية الغالية ، ليلفتوا الناس اليهم فيقولوا هذا فلان وهذا علان ، لأنهم مفتقرون إلى هــذا الاعلان ، اما انا فلى من شخصيتى ومن مكانتى ومن أصلى ومنبتى ما يجعلنى من نباهة الذكر ملء كل خاطر وفكر ، دون ان احتاج إلى ما يدهنون به أنفسهم من طلاء ، وما يضعونه على أجسادهم من غطاء .

ان الرجل القوى يا ولدى لا يجعجع ولا يهوش ، ولكن إذا ما ضرب كانت ضربته فى الصميم ، اما الرجل الضعيف ، فهو الذى يلجأ دائماً ، إلى الجعجعة والتهويش ، وإلى التظاهر بالقوة من هذا الطريق ، ومع ذلك فهو إذا ما ضرب طارت ضربته فى الهواء ، وذهبت هباء فى هباء .

ومضيت عن ذلك الشيخ — وقد أجرى الله على لسانه الحكمة — وأنا مؤمن بأنه قال حقاً وفطن صدقاً ، وأن ما رأيته يا صاحبى من ان الغرور لايركب إلا ضعاف النفوس هو الحقيقة التى لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها . وقاك الله ووقانى شر الغرور ، وابرأ اولئك المغرورين من دائهم الوبيل ، وهداهم سواء السبيل .

محمد الحناوى

مدى ما تفيده الأمة من جهود المفكرين

المحاضرة التى أذاعها حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الجليل السيد زهران المراقب العام للشئون الدينية بوزاره الأوقاف بدار الإذاعة مساء يوم ٢٣/ ٢ / ١٩٥١

من دلائل حضارة الأمم ومدنيتها، ورقيها وتقدمها، وسمو إدراكها ووعيها ان يكون لها مثل عليا تتطلع إلى بلوغها، وأهداف إنسانية عامة تعمل على تحقيقها وتبذل فى سبيل الوصول إليها كل ما تستطيع من جهود، وما تملك من امكانيات ذاتية، سواء فى ذلك أفرادها وجماعاتها وحكوماتها.

وكلما كانت الجهود المبذولة منتجة نافعة، كان ذلك دليلا على حيوية الأمة وتوثبها نحو مثلها العليا وآمالها الكبيرة.

لهذا نرى الأمم المتحضرة حريصة على الانتفاع بثمرات ما ينتجه أبناؤها، من تفكير وبحث ودرس لشئونها العامة والخاصه، بل بكل ما يصل إليه التفكير العالمى مما يتصل بهذه الشئون، وفى سبيل ذلك تتخير الاخصائيين فى كل فن وعلم وتكون منهم جمعيات علمية عليا، تتوافر على البحث والتنقيب، وتمحيص الأفكار التى تجرى بها أقلام الكاتبين والمفكرين، والآراء التى تنتجهـا تجارب العلماء والباحثين، حتى تصل إلى نتائج صحيحة يمكن على ضوئها الوصول إلى الغايات المنشودة.

ولعل السر فى نجاح هذه الجمعيات ووصولها تباعا إلى نتائج تفيد الإنسانية

جمعاء ، انها تتمتع بشخصيتها المعنوية واستقلالها ، فلا تتأثر بالهزات الحزبية ، والتقلبات السياسية ، لأنها الدعامات الثابتة فى بناء حضارة الأمة ، والعجلة القوية التى تدفعها إلى الأمام ، وأنها حريصة كل الحرص على الانتفاع بكل ما يتصل بمهمتها أيا كان مصدره ، فان العلم لا يعرف جنسية ولا وطنا ولا عقيدة ، ولهذا نرى الأمم لا تقنع ببحوثها المحلية ، بل تعمد لعقد المؤتمرات الدولية ، التى تجمع خبراء الأمم وعلماءها ، ضما للجهود ، وتمحيصا لمختلف النظريات ، وتوطيداً لدعائم البحث ، وتثبتا من سلامة ما تصل إليه من نتائج .

ومن المحقق ان أهم ما وصلت إليه الأمم فى العصر الأخير من كشف لنظريات علمية جديدة ، ومبادئ اجتماعية خطيرة ، إنما هو نتيجة لهذه البحوث .

فكم أسدى إلى البشرية من خير كشف ما فى السلفا والبنسلين ومشتقاتهما من علاج لبعض الأمراض الفتاكة ، ومقاومة لبعض الأدواء الخطيرة .

وكم تستفيد الإنسانية من نفع لواطرد نجاح ترقيع الأعين المكفوفة بقرنيات الموتى حديثا .

وكم يضاعف الانتاج لو استمرت مقاومة الشيخوخة وتجديد الحيوية ، والاستعانة فى ذلك بخلاصة الغدد الصماء ، وهل كانت البشرية تصل إلى اكتشاف تحول المادة إلى طاقة ، وإلى تقسيم الذرة واستغلال القوة المنبعثة منها ، واستخدام القوة النفاثة ، لولا البحث والدرس الذى عكف عليه العالم الدانمركى بوهر فى سنة ١٩١٣ .

وهل سادت نظرية التكافل الاجتماعى بين الناس حتى فى المجتمعات التى لا تؤمن بالأديان ، إلا بعد تمحيص الآراء المختلفة فى أسلم الطرق لتحقيق العدالة الاجتماعية ، وتوفير الطمأنينة لجميع الأفراد ، حتى المستضعفين من الرجال والنساء وفاء من الدولة بحقوقهم لقاء ما قدموا للأمة فى قوتهم من نفع وإنتاج .

هذا شأن الأمم الناهضة التى تساهم فى خدمة الإنسانية بتفكيرها وبحوثها وجهودها ، فأين نحن من هذه الأمم .

الواقع أننا أمة لا ينقصنا الذكاء والجد والنشاط ، ولا تعوزنا العبقرية والألمعية والكفاءة ، ففينا المفكرون والباحثون والمكتشفون ، وان أمة تنجب العلامة المرحوم الدكتور محمد خليل عبدالخالق بك « والعلامة المرحوم الدكتور مصطفى مشرفة باشا ، لأمة يرجى منها ان تساهم فى خدمة المجتمع الإنسانى بأوفى نصيب ، فللأول فضل فى كشف الطفيليات التى تسبب الأمراض المتوطنة وطرق علاجها ، خدم به الإنسانية جمعاء ، وفيه يقول أحد علماء الألمان « ان مصر لم تنجب منذ الأسرة الثامنة عشرة من قدماء المصريين رجلا خدم الإنسانية بكشفه كما خدمها الدكتور خليل بك عبدالخالق » .

وللثانى بحوث فى الذرة ، أشادت بها المجلات الانجليزية العلميه فى سنة ١٩٢٢ و سنة ١٩٢٣ و سنة ١٩٢٤ و سنة ١٩٢٥ وكان لها صداها بعد ذلك فى المحافل العلمية فدعى إلى مؤتمر سويسرا العالمى الذى عقد بمدينة زيوريخ سنة ١٩٣٢ لالقاء بحوثه عن العلاقة بين الذرة والاشعاعات الذرية .

وهل بين عباقرة هذا العصر من يضارع العلامة الدكتور طه حسين باشا فيما حباه الله به من علم غزير فى آداب اللغات وتاريخها ، وخبرة واسعة بطرق التربية الحديثة ، وما تفرد به من احاطة بأساليب الكتابة والتفكير .

وفى الأمة من أمثال هؤلاء علماء نبغوا فى علوم الطب والحياة والطبيعة ، والاجتماع والاقتصاد والفقه والقانون ؛ لهم بحوثهم وأقلامهم وأفكارهم وهم لا يضنون على أمتهم بنتاج عقولهم ، محاضرات فى الجامعات والأندية ، وتسجيلا فى المؤلفات والصحف والمجلات ، وارسالا على موجات الأثير ، وتقارير تقدمها إدارات البحوث بمختلف الوزارات والمصالح وممثلو مصر فى المؤتمرات الدولية التى تساهم فيها الدولة . ولكن أكثر هذه الجهود ضائع رغم ما تبذله الأمة والحكومة فى سبيلها من الوقت والمال .

فكم من الوقت ينفق فى سبيل تكوين الآراء وتحريرها ، وكم من المال يبذل فى سبيل نشرها . ولكن ما هى الفائدة التى نحصل عليها من هذه الجهود ؛ الواقع

أن الأمر لا يعدو أن يكون متعة وقتية يستمتع بها القارئ أو السامع ولعلها لا تبلغ الاستمتاع بحفلة غنائية أورواية تمثيلية أوأزجال فكاهية، وليس بيننا وبين الافادة من هذه الجهود إلا ان نسلك السبيل التى سلكها غيرنا من الأمم ، فنشجع البحوث العلمية ، ونتوافر على دراستها ، لنصل إلى نتائج تصلح ان تكون زادا يغذى مجامع علمية عليا ، تضم أصحاب الرأى فى مختلف نواحى العلوم والفنون ، ليصلوا بالبحوث إلى غاياتها ، فى درس أوسع وبحث أعمق .

وبذلك نستطيع استثمار الجهود الفردية والجماعية ، لخير الشعب بل لخير الانسانية ، فلا نرى فكرة تقتل فى مهدها لصدورها من مغمور ، ولا تقارير تأخذ طريقها إلى الرف ، ولامحاضرات تنام نومة أهل الكهف ، لا تكاد تذاع أو تنشر حتى تقبر ، ونستطيع ان نحصل على نتائج اجماعية ، تكون محل الاحترام والتقدير ، لا يشكك فى قيمتها الجدل والمراء ، وأن نستغنى عن استقدام الخبراء الأجانب إلا فى جلائل الأمور ، وان يتخذ ممثلونا فى هيئة الأمم المتحدة من هذه النتائج عدة تعينهم على المساهمة بنصيب موفور فى اللجان العلمية والفنية التابعة لها .

وإذا كانت الولايات المتحدة ـ وهى الأمة الغنية بثروتها العلمية ورجالها الفنيين ـ قد عنيت بهذه الناحية ، فأنشأت بيتاً للبحوث العلمية والاختراعات، يتولى بالدراسة والتمحيص ، كل رأى أواختراع ينشر فى صحيفة أو كتاب أو محاضرة أو خطاب ويسجل ذلك فى ملف خاص باسم صاحبه ، ثم يوالى دراسته حتى يبلغ البحث محله . فاننا أولى ان ننسج على هذا المنوال .

وفى بلادنا اليوم اتجاه إلى النهوض فى مختلف النواحى العلمية والاجتماعية ، والاقتصادية والاصلاحية ، فهناك نقاش حول تعدد الزوجات وتقييد الطلاق ، ومركز المرأة فى المجتمع بين فريقين من علية العلماء ، يمثل أحدهما الداعين إلى إصلاح شامل فى الأحوال الشخصية ورفع مستوى المرأة فى الحياة . ويمثل الآخر المحافظين الداعين الى الوقوف عندظاهر نصوص الشريعة الغراء. وهناك بحوث حول تأميم بعض المؤسسات الكبيرة ، وطرق مكافحة الغلاء ، وتمويل مشروع

المساكن الشعبية ، وإكثار الملكيات الصغيرة ، وتعديل نظام الضرائب عملا على تحقيق العدالة الاجتماعية . والتوسع فى توليد الكهرباء من مساقط المياه ، واستخراج السماد، واستثمار الصحارى والواحات، واستغلال المناجم، واستصلاح الأراضى البور إلى غير ذلك من المشروعات الإصلاحية والعمرانية .

ولو أنا سلكنا فى بحث هذه المسائل الطرق المعبدة التى سلكها غيرنا من الأمم لأمنا الزلل ، وتجنبنا التعثر ، ولكونا فى كل مسألة رأيا محترما ، تنزل عنده جمهرة الأمة راضية فى اقتناع واطمئنان ، وما أضعنا بسبب التسويف والجدل ثمرات وثمرات .

اننا إذا فعلنا ذلك جارينا ركب الحضارة ، واقتدينا بأسلافنا الأمجاد، وحسبنا عظة من سياستهم الرشيدة ، موقف أبى بكر رضى الله عنه ، حين عرضت له مشاكل حرب المرتدين ، ومانعى الزكاة ، وأدعياء النبوة ، ثم التفكير فى جمع القرآن واختلفت الآراء فى ذلك ، وقام بينه وبين عمر بن الخطاب رضى الله عنه نقاش ، فلم يجد بدا من أن يجمع كبار الصحابة وأهل الرأى لاستشارتهم فى الأخذ بأقوم الآراء وأهداها سبيلا . فكان لهم يومئذ قرار اجماعى صان العقيدة . وحقق الوحدة . واطمأنت إليه النفوس .

وليس ينفعنا اليوم ، ان تتضافر جهودنا لنظفر بنتائج علمية واكتشافات نظرية بل لا بد ان نتبع العلم الصحيح بالعمل المنتج المفيد .

وسبيل ذلك ان تعمل الحكومة على احتضان النافع من هذه المشروعات وتبذل من المال والجهد ما يعين على إخراجه إلى حيز الوجود . وان يسارع أصحاب رءوس الأموال والبيوت المالية والمؤسسات الصناعية إلى استثمار كل ما يكتشف من اختراعات حيوية وما يتقرر من مشروعات اصلاحية توظيفاً وتمويلا وتعديناً وتصنيعا ، لنقيم الدليل على أننا أمة حية ، لا تتكل فى جميع شئونها على الحكومات ، بل تعتمد على نفسها بالعمل وبذل الجهود ، لتصل إلى أهدافها وغاياتها المنشودة . هذه صيحة الحق ، نرسلها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

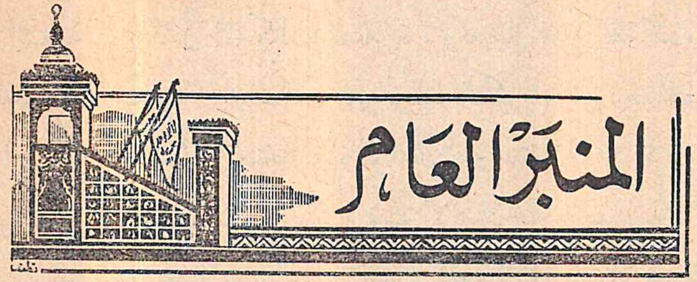

خطاب

حضرة صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا

رئيس مجلس الوزراء

فى تحية عيد الميلاد الملكى السعيد

أقام حضرة صاحب المقام الرفيع الرئيس الجليل مصطفى النحاس باشا فى الساعة الخامسة بعد ظهر ١٩٥١/٢/١١ حفلة شاى كبرى فاخرة بسراى الزعفران حضرها اكثر من الف مدعو فى مقدمتهم رجال السلك السياسى الأجنبي والشرقى وأصحاب المعالى الوزراء وكبار رجال القصر وكثيرون من شتى الهيئات والطبقات .

وكانت سراى الزعفران قد نسقت بالزينات الفاخرة وأضيئت بالأنوار المتلألئة ووضعت مكبرات الصوت فى أنحائها المختلفة .

والقى رفعة الرئيس خطابا قيما فى تحية عيد الميلاد الملكى اذاعته محطة الاذاعة وننشره فيما يلى :

سيداتى وسادتى :

تحتفل البلاد كلها بمناسبة من أسعد المناسبات ، وعيد من أكرم الأعياد ، عيد تتسابق فى احيائه كل طبقة ، وتتنافس فى الفرحة به كل بيئة وهيئة ، هو عيد ميلاد مليك الوادى العزيز — على ابناء الوادى اجمعين — حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول بارك الله حياته ، وأمده بالعون والتوفيق .

ففى الحادى عشر من فبراير عام ١٩٢٠ ، أعلن البشير فى ارجاء المملكة المصرية مولد الفاروق بعد مولد نهضة مصر القومية بزمن يسير . فكان هذا التوافق فى

الميلادين ، والتقارب فى الزمنين ، فاتحة أمل ورجاء سريا فى النفوس ، وتمشيا فى القلوب ، وأحس الذين شهدوا هذا الحادث الجليل فى حياة شعب مصر ان سيكون لشبل فؤاد العظيم ، شأن عظيم .

وصدقت الايام فراستهم ، فلم يكد الفاروق ينضج عوده ، حتى بدت عليه مخايل العظمة والطموح ، وتجلى فى نفسه الكريمة حب الخير والبر والغيرة الصادقة على حرية الوطن العزيز .

فضل الفاروق عل البلاد :

وان التاريخ ليشهد للفاروق — أعز الله به الوادى — انه كان له فضل اى فضل على نهضة البلاد الوطنية ، وشاو اى شاو فى سبيل العظمة القومية ، وانه أدرك بعقله الكبير ، وشبابه المتوثب ، ان عظمة الشعوب لا تكون إلا بالاستقلال والحرية ، فسار فى اعماله على هذا النمط ، وواصل سعيه الحثيث فى هذا السبيل ، فتمت فى عهده المشرق أعمال عظيمة ، واقترن حكمه الموفق بخير وفير شمل الوادى ، وعم أبناءه أجمعين .

حمل تبعات الملك فى سن مبكرة :

تلقى حفظه الله تبعات الملك — وما أشقها وما أفدحها — فى سنه الباكرة بشجاعة واقدام ، غير متردد ولا محجم ، وظل يعمل جاهداً مجداً على إنقاذ الوطن من كل عثرة ، ويسهر على راحة شعبه ورفع مستواه السياسى والاجتماعى ، والنهوض بمرافقه ، وتزويده بما يبعث فيه روح العزة والكرامة والشعور بمكانته بين الشعوب .

رفع مستوى الشعب الاجتماعى والخلقى :

ورأى بثاقب بصره ان لا نهوض لشعب دون ان يرتفع مستواه الاجتماعى والخلقى والعلمى ، وان يستتب فيه الأمن ، ويستقر النظام ، فتقدم الصفوف عاملا على النهوض بمستوى الحياة الاجتماعية فكان الحدب على الفقراء ، البار بالضعفاء ،

الباذل العون عن رضا وسرور ، لكل بائس او محتاج ، المتنقل بين أنحاء البلاد يواسى المنكوب ، ويمسح بيده الحانية آلام الشاكين ويأسو جراحات المتألمين .

تشجيع العلم والعلماء :

ولم يترك — حفظه الله — فرصة تمر إلا شجع العلم وأشاد بالعلماء ، ونفخ من روحه القوى فى كل راغب للتعمير والانشاء ، وهذه مآثره الباقية تترى على كل عامل ، وتشمل كل ذوى أريحية فى البلاد ، بما يتفضل به من شتى ضروب البر بالعاملين وإظهار الرضا الفعلى على المتنافسين فى الخير ، الذين ينشئون المرافق والمعاهد فى أنحاء البلاد .

اما حرص الفاروق على رفاهة شعبه ، واطمئنان وطنه ، والوصول بالوادى إلى أعز أعانيه ومطالبه ، فكل هذه أشياء لا شك فيها ولا ارتياب ، فهو الذى يوجه حكومته الشعبية التوجيهات السديدة ، ويشد أزرها ويقوى شوكتها فى الاستمساك بحقوق الوادى التى انعقد عليها اجماع البلاد .

يشارك شعبه آماله وآلامه :

وهو الذى يشعر بشعور أبناء شعبه الوفى فيشاركهم الآلام والآمال ، وينفخ فى روح كل عامل ليحفزه دائماً إلى الامام ، ولا ابالغ إذا قلت ان من أسعد أيام المليك يوما يرى فيه منشأة تفتتح ، او مبرة تقدم ، او عملا من أعمال الخير والبر يجلب النفع للمواطنين . وان جلالته حين يدعى ليشمل مرفقاً من المرافق برعايته السامية ، ويضفى عليه من روحه العالية ، ليرى منشرح الخاطر ، هادىء النفس ، تبدو على محياه الكريم آثار الرضا والحبور .

تلك أيها السادة ظاهرة محسوسة لمستها عن كثب فى مليكنا المفدى — زاده الله نعمة وتوفيقا — وهى ظاهرة خليقة بالتسجيل ، جديرة ان يعلمها كل مواطن ، حتى يتخذ من مليكه القدوة الحسنة ، والاسوة الطيبة ، فيسير على منواله ، وينهج على آثاره ، ولست اشك انه لو احتذى كل مواطن حذو مليكه فى تشجيع كل

عمل نافع والاقبال على كل مرفق مفيد ، وتآزرت القوى على الأخذ بناصر الطبقات الفقيرة ومحاربة الرذائل ؛ وأدرك كل مواطن ان عليه واجبا نحو الوطن الذى أنشأه ورباه ، وان هذا الواجب يقتضيه بعض التضحية والبذل ، والشعور بحاجات المواطنين ، اجل لو أدرك المواطنون جميعا ، تجار وصناع ، وموظفون وطلبة وعمال ، وغيرهم وغيرهم ، ان خير الوطن — الذى هو مجموعة منهم — لا يكون إلا فى السير على نهج الحق والنظام. وتحكيم العقل والتبصر فى العواقب ، والرضا والقناعة ، ووزن الأمور بميزان العقل والحكمة ، ومقارنة الحياة التى نحياها بحياة غيرنا من الشعوب التى تبذل أغلى التضحيات فى سبيل المصلحة العامة ، لو أدرك كل مواطن هذا او بعض هذا لخرجت البلاد من هذه الأزمة الطاحنة بسلام ، ولظلت مصر كالعهد بها بمنأى عن كل قلق واضطراب ، ولاطمأن الفاروق العظيم بالا ، وهدأ نفسا ، وازداد فخرا بأنه على رأس شعب يدرك التبعات ، ويقيم وزناً لما يجرى حوله من الاحداث ، ويتخذ العبرة من غيره ، ويعمل على ان تكون له مكانته بين الأمم والشعوب .

يجب ان تتضافر القوى لخير الشعب :

أيها السادة :

يجب ان ننتهز فرصة احتفالنا بعيد ميلاد الفاروق — مد الله حياته — فنزيد مليكنا سروراً وغبطة بما نقدمه لمواطنينا من خدمات . وما نجلبه للوطن من خير وإسعاد ويجب ان تتضافر القوى — قوى العاملين للخير جميعا ؛ لا الهدامين ولا النهازين — فتتحد افكارهم ، وتصح كلمتهم على مؤازرة حكومة الشعب فى محاربة الفساد ، ومكافحة الغلاء والضرب على ايدى العابثين بالنظام ، الذين يحاولون نشر الفوضى فى البلاد ونفث الترهات والأوهام بين المواطنين .

على كل مواطن التضحية بيسير من مطالبه :

ولن تكون هذه المؤازرة مجدية منتجة إلا إذا اقدم كل مواطن على التضحية

يسير من مطالبه ، وليثق المواطنون جميعا ان الحكومة غير متوانية ولا متواكلة ، وانها تبذل كل ما فى الطاقة لتوفير اسباب الراحة والطمأنينة للمواطنين ، وهى واثقة بإذن الله من الوصول إلى هدفها فى اسعاد الشعب وتحقيق امانيه بفضل مؤازرة الفاروق مليكها الدستورى الوثاب ، وتأييد الشعب الوفى الأمين .

وإذا اجتمعت هذه العوامل ، وصحت النيات على العمل الصالح ، كان هذا إيذانا بالنجاح بشيراً بحياة فيها استقرار وفيها اطمئنان .

مشروع فاروق للمساكن الشعبية :

وإنى لأشعر بالغبطة إذ اعلن — فى هذا العيد السعيد نبأ اعتزام حكومة الشعب بتوجيه سام من جلالة الفاروق باركه الله — مشروعا حيوياً فيه النفع الجزيل للطبقات الفقيرة هو مشروع فاروق للمساكن الشعبية — وسيطالع الشعب تفاصيله فى الأيام القليلة المقبلة إن شاء الله .

تهنئة المليك بالخطبة السعيدة :

ويسعدنى ويملأ قلبى بهجة وسروراً أن أكرر على صفحات الأثير التهنئة الخالصة الصادقة مرة أخرى إلى الفاروق المفدى بالخطبة الملكية الميمونة ضارعا إلى الله أن يتم القران بالخير العميم ، وأن يجعله قراناً مباركا سعيداً ، تطمئن إليه نفس مليكنا المحبوب ، ويهنأ به قلبه الكبير ، وشعبه المخلص الأمين .

والله يحفظ للكنانة مليكها رمزاً صادقاً على حيويتها . ودليلا ناهضاً على عظمتها ، ويحقق لأبناء الوادى والعروبة فى عهده المشرق السعيد ما يتوقون إليه من مجد وعظمة ويعيد أمثال هذا العيد على جلالته قرير العين ناعم البال ، سعيداً باستقلال واديه ، فخوراً بشعبه المجد العامل على أداء واجبه ، والقيام بنصيبه فى إقامة صرح المدنية ، واستقرار الأمن والسلام .

عيد الفاروق

لحضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الجليل الشيخ سيد زهران

في ساعة مباركة من يوم الاربعاء الحادى عشر من شهر فبراير سنة ١٩٢٠ تأذن البشير على سمع الوجود بميلاد الفاروق بين حشد حشيد من جليل المسرات ارتفعت اعلامها فوق ساريات الآمال الفارعة، وموج زاخر بالدعوات الخالصة من قلوب عامرة بالوفاء والولاء ان يسعد الله به الوطن وان يعز به الدين كما اعزه بسميه الفاروق بن الخطاب.

فكان هذا اليوم من ايمن الايام فى تاريخ مصر واسعدها، وأخلدها فى سجل الدهر وامجدها. حقق الله فيه للبلاد رجاء كان منتظراً، واملا كان مرتقبا

ففى اعقاب الحرب العالمية الاولى قامت مصر بنهضتها الوطنية الرائعة تنادى بحريتها واستقلالها؛ مجاهدة لتحقيق امالها تناضل عن حقوقها يشد عاهلها ازرها ويعززها فى نيل امانيها؛ والقوة الغاشمة تعمل على تحطيم هذه النهضة. وتشتيت زعمائها. والشعب يتطلع الى فرج قريب، فاذا طلائع السعد وبشائر المجد تشرق من افق الكنانة على ربوعها واذا فؤاد العظيم يرسل الى كبير وزرائه يقول:

حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء

المنة لله وحده — بما انه فى الساعة العاشرة والنصف من مساء أمس الاربعاء المبارك — ٢١ من جمادى الاولى سنة ١٣٣٨ الموافق ١١ من فبراير ١٩٢٠ قد من الله علينا بولد ذكر سميناه «فاروقا» فقد استصوب لدينا اصدار امرنا هذا لدولتكم احاطة لعلم هيئة حكومتنا بهذا النبأ السعيد لاثباته بسجل خاص يحفظ برياسة مجلس

وزرائنا وتعميم نشره فى جميع انحاء القطر مع تبليغه لمن يرى تبليغه اليه بصفة رسمية ، واجراء ماينبغي اجراؤه بهذه المناسبة المباركة ، وانى اسأل الله القدير المنان ان يجعل هذا الميلاد مقروناً باليمن والاسعاد للبـــلاد والعباد من فضله وكرمه .

« فؤاد »

وكانت السماء مفتحة الابواب ، فاستجاب الله هذه الدعوة الصادرة من الاعماق وكان هذا الميلاد حليف السعد . قرين المجد قرة عين للشعب وبشير خير للوطن ، فاخذ ساعد النهضة يشتد كلما شب الفاروق ونما ، واخذت الامال تقوى كلما بلغ اشده واستوى ، واكتسبت النهضة من شبابه شبابا ، واكتسبت من طموحه اهابا . عاصرها وعاصرته . وحالفها وحالفته . فلا عجب ان يكون الوطنى الاول والمجاهد الاول . فقد تفتحت عيناه على مواكبها تملأ ساحة عابدين وتفتحت اذناه على هتافاتها بحياة العاملين تشق اجواز الفضاء . وتبلغ عنان السماء . ولم يكد يسلخ الثالثة من عمره حتى نودى به ولياً للعهد فى ١٣ ابريل ١٩٢٣ وهو يبدأ الرابعة من عمره المديد .

وما شب عن الطوق حتى عنى جلالة والده بتربيته تربية دينية صحيحة ، وتثقيفه ثقافة علمية سليمة ، وتنشئته تنشئة ديموقراطية كريمة . فأعد له فى قصر القبة العامر مدرسة يتلقى فيها العلوم والمحاضرات وتخير له صفوة الاساتذة والمدرسين وفى مقدمتهم المغفور له الاستاذ الاكبر الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الازهر فعكف على دروسه فى وعى نادر ، وذكاء غامر ، وذهن حاضر ، وعبقرية فذة .

وما بلغ الثالثة عشرة من عمره ، حتى اخذ والده العظيم يعده الاعداد اللائق بولى عهد مملكة عظيمة فاصطحبه لاول مرة فى الحفل الرسمى للمرشدات الذى اقيم فى النادى الاهلى بالجزيرة .

وكان سموه يومئذ شابا يافعاً ونجما لامعا . فبدا فى ذلك الحفل قمراً منيرا ساطعا . ولم يتم الرابعة عشرة من عمره حتى أنابه والده فى حضور الحفل الرسمى لسلاح الطيران الملكى بمصر الجديدة فى ٢٣ فبراير سنة ١٩٣٤ فظهر فى هذا الحفل

بدراً وحلق بين شواهين الجو نسرا . واحرز فى ميدان التقاليد السامية فوزاً ونصرا ، وكان فخر الشباب ورمز الرجولة بل رمز البطولة .

وفى ٦ اكتوبر سنة ١٩٣٥ سافر فى بعثة علمية الى انجلترا ليزاوج بين الثقافتين: الدينية والمدنية والحضارتين : الشرقية والغربية فكان خير سفير لمصر فى تلك البلاد التى ضللتها دعايات المغرضين . بما ينشرونه من افتراءات عن مصر والمصريين ورأى الشعب البريطانى فى سلوك سموه اميرا يبهر الابصار بجمال سمته وجلال طلعته . وكمال استقامته . وظل معنيا بدرسه عاكفا على شعائر دينه . عازفا عن مفاتن تلك البلاد . حتى دعاه الواجب الى الجلوس على عرش الكنانه فى ٦ مايو سنة ١٩٣٦ فاجاب الدعاء . وكان ما بينه وبين الشعب من تجاوب فى الامانى والآمال محققا لما كانت تترقبه البلاد على يديه من اصلاح ونهوض فتزاحمت الاصلاحات مسرعة الى رحاب ملكه طيعة تلبى النداء . وتحقق الرجاء . واخذت البلاد تسير بخطى فسيحة فى شتى النواحى الوطنية ، والدينية ، والثقافية ، والاجتماعية ، فقد اضفى على الروح الوطنى فى البلاد نهوضا وتوثبا . واستطاعت مصر فى طليعة عهده السعيد ان تعقد معاهدة كانت خطوة جريئة فى سبيل استكمال استقلال البلاد ، وتم فى مؤتمر مونتريه الغاء الامتيازات الاجنبية فاستعادت مصر بذلك سيادتها فى التشريع ، واصبح جميع سكانها من وطنيين ونزلاء سواسية امام القانون والقضاء . وتوطدت دعائم الدستور بعد ان كان عرضة للتعطيل والتبديل واستطاع بحكمته ان يقود البلاد بنجاح فى احرج الاوقات فجنبها ويلات الحرب العالمية الثانية . وسلمت السفينة من الانواء والاعاصير الهوجاء . وبفضل توجيهه تألفت الجامعة العربية فاحتضنها فى مهدها ، وشد ازرها وغدت مصر ملاذاً للاجئين السياسيين ، والاحرار المضطهدين وفيصلا فيما يشجر من خـــلاف فى المحيط الشرقى خاصة والدولى عامة ، واصبح لها فى الميدان السياسى مكان مرموق ومركز ملحوظ .

واذكاء للروح الوطنى فى الامة عُنى بتنظيم الجيش فجعل التجنيد اجباريا ايمانا

بان سلامة الوطن رهن بقوة جيشه ووفرة عدده وعتاده . واهتم بتنشيط الرياضة البدنية وتشجيع ابطالها لتكوين جيل قوى سليم يجاهد فى الحياة ويكافح . ويناضل وينافح بروح رياضى كريم .

وكان اتجاه جلالته الدينى منار الامة ومثابتها ، ومحرابها وقبلتها ، فقد هيأت للامة زياراته المتكررة للمساجد ان تتصل به عن كثب ، وان تشهد ما اصفاه الله به من التقى واضفى عليه من الهدى فتأست به فى رشده وسداده ، ولا يزال جلالته يولى بيوت الله رفدا متواصلا ، وفضلا متتابعا ، فى تأسيسها وعمارتها ، وتشييدها ورفع قواعدها ، وكان من آثار ذلك أن تنبه الوعى الدينى فى البلاد وعم التعليم الدينى فى المدارس وزاد عدد المعاهد الدينية ، فإن الجامعة الأزهرية التى ظلت ألف سنة إلا خمسين عاما محدودة الفروع امتدت فروعها فى عهد جلالته إلى العواصم والمدن حتى أربت على خمسة عشر معهداً ، إليها تهرع بعوث الطلبة من سائر الأقطار لتنهل من معينها يشملها المليك بحدبه وبره ، واستجابت هذه الجامعة لرغبة الشعوب الإسلامية فأوفدت رسلها إلى مختلف البلاد لنشر تعاليم الإسلام ومبادئه .

ولقد رأى جلالته أن مصر لا تساير ركب الحضارة إلا إذا تسلحت بالعلم والعرفان فضوعفت الجهود فى محو الأمية وعمت المجانية التعليم الإبتدائى والثانوى ووسعت مجانية التعليم الجامعى أكبر عدد ممكن من أبناء الأمة ، وأنشئت بجانب جامعة فؤاد جامعة فاروق ، وجامعة محمد على ، وجامعة ابراهيم ، وزادت بعوث الطلبة إلى أوربا وأمريكا ليفيدوا من تلك البلاد أحدث الثقـافات والفنون والمعارف والعلوم .

ولقد مرت الأمم أخيراً بحقبة من السنين تزاحمت فيها المبادئ والأفكار والمصالح وكان لها هزات ذات أثر واضح فى الممالك والدول : ملكية وجمهورية .

ولكن عناية الفاروق بأمته ، كانت حصانة لها من هذه الهزات فقد رعى جلالته جميع الطوائف رعاية فائقة جعلتها تطمئن إلى عدالة الحكم وأشعرتها ان الحاكمين انما يعملون لخدمة المحكومين .

وأصدق دليل على هذا ، تلك التشريعات التى حققت العدالة الاجتماعية لمختلف الطبقات ، فهذا قانون استقلال القضاء الذى وفر للقضاة حرمتهم وحال بينهم وبين آثار التقلبات السياسية والحزبية ؛ وهذا مجلس الدولة الذى امن الموظفين وأنصف المحكومين من الحاكمين ، وقانون نقابات العمال الذى اعترف بكيانهم وقانون عقد العمل الذى كفل لهم حقوقهم ، وقانون الضمان الاجتماعى الذى فرض معاشاً شهرياً للمرضى والمتقاعدين ، والأرامل والعاجزين ، يحفظ كرامتهم، ويصون انسانيتهم ، ويضمن لهم قوتهم ، ويغنيهم عن ذل السؤال والاستجداء .

وليس أدل على اعتراف الشعب بهذه الحقائق من تلك الهتافات المدوية التى تشق أجواز الفضاء فى شتى المناسبات تنادى بحياة الفاروق الأمام الأعظم من الناحية الدينية، والمعلم الأول من الناحية الثقافية ، والقائد الأعلى من الناحية الحربية والرائد الأكبر من الناحية الوطنية ، والفيصل المرجى فى أمورها السياسية والمصلح الأوحد فى مظاهرها الإجتماعية ، ذلك بأن جلالته ارتقى القمة من هذه الأهداف كلها ؛ ومن يمن الطالع أن يقبل عيد الملاد الملكى السعيد فى هذا العام وبشائر الرجاء تعلن عن قرب تحقيق الآمال .

فإذا احتفلت الأمة المصرية بذكرى هذا العيد حكومة وشعباً فإنما تعرب عن اخلاصها ووفائها ، وحبها وولائها للعرش المفدى ، وعن سرورها بتحقيق آمالها السامية وأمانيها الغالية مجتمعة فى شخصه الكريم ، فقد عقدت هذه الآمال حلفا فى حماه وانساب نورها فى المسالك من ضياء سناه ، واكتست جمالا من حلل هداه ؛ أيده الله وأبقاه ، وحقق له ما يتمناه ، وأعز به الوطن والدين ، وجمع به كلمة العرب والمسلمين .

اثبات وجود الله

فى فلسفة ديكارت

لحضرة الأستاذ الدكتور عثمان أمين

ديكارت هو « أبو الفلسفة الحديثة » وزعيم المذهب العقلى فى الفكر الغربى . وكثيرون من الباحثين فى أيامنا هذه قد صوروا هذا الفيلسوف الرياضى والطبيعى فى صورة الرجل الذى يشعر شعوراً عميقاً بما لفلسفته من رسالة دينية . فبينا نراه يعلن أننا « ينبغى ألا نقبل شيئاً قط على أنه حق مالم نتبين بالبداهة العقلية أنه كذلك » نجده يصرح من جهه أخرى بأن « هذا لا يمنعنا من أن نؤمن بالأمور التى جاءتنا عن طريق الوحى الإلهى ، وان نعتقد أنها أشد المعارف وثوقاً وأوفرها يقينا ، مادام الإيمان بها . . فعلا لا من أفعال الذهن بل من أفعال الإرادة » .

وليس من قصدنا هنا أن نناقش مختلف الأراء فى شخصية ديكارت ومذهبه ، وإنما نود أن نعرض لمسألة ذات اهمية بالغة فى الفلسفة الديكارتية : وهى اثبات وجود الله .

* * *

أثبت ديكارت ، فى المرحلة الاولى من مراحل فلسفته ، أن « الإنية » أو « الذات » العارفة موجودة ، أى ان الانسان « جوهر » أو « شىء مفكر » ؛ يعنى أن النفس الانسانية جوهرها الفكر ، وهى لذلك مستقلة عن البدن متميزة عنه بحيث أن البدن لو لم يكن موجوداً على الاطلاق لكانت النفس موجودة بتمامها .

وفى المرحلة الثانية ، نرى الفيلسوف يبادر بإثبات وجود الله . ولكنه يسلك فى ذلك مسلكا طريفاً مخالفاً لمسالك المتقدمين من الفلاسفة واللاهوتيين ، سواء كانوا مسيحيين أو إسلاميين . فالكثيرون من هؤلاء ربما كانوا إذا تم لهم إثبات الفكر ، ينتقلون الى إثبات وجود العالم الخارجى ، ليصعدوا بعد ذلك الى وجود

الله ؛ فكانوا يلجأون الى دليل « العلل الغائية » أو دليل « المحرك الأول » وما الى ذلك من الأدلة التقليدية الموروثة عند « المدرسيين » إبان سلطان الفلسفة الارسطا طاليسية . وواضح أن ديكارت كان مضطراً الى اطراح هذا الضرب من الأدلة ، لأنه حين أراد ان يدلل على وجود الله لم يكن يعرف بعد معرفة يقينية هل العالم الحسى موجود حقاً ؛ ولم يرد أن يعرف وجود الله عن طريق العالم ؛ بل رأى ان الأولى معرفة العالم عن طريق الله .

يسعى الفيلسوف إذن إلى أن ينتقل من فكره هو إلى وجود الله مباشرة من غير واسطة ، فيقول : انا موجود ، وفى نفسى فكرة عن الموجود الكامل أو اللامتناهى ، وهذا كاف لإثبات وجود الله . وعلى هذه الفكرة وحدها ، فكرة الكامل ، أقام ديكارت ثلاثة أدلة عقلية رآها قاطعة مقنعة .

* * *

الدليل الأول :

يقول ديكارت فى هذا الدليل : إذا رجعت إلى نفسى فأول مايتبدى لى هو نقصى ، لأنى أعرف انى أشك ، وانى عرضة للخطأ ، والشك والخطأ نقص ، لأنهما قصور عن بلوغ الحق والصواب . وما كنت لأعرف انى كائن ناقص متناه لو لم تكن لدى فكرة « الكامل » أو « اللامتناهى » . فمن أين جاءتنى هذه الفكرة ؟

بديهى انى لم أستطع ان اخلق بنفسى تلك الفكرة ، مادمت قد لاحظت انى موجود ناقص متناه . ولابد أن يكون للعلة من الحقيقة والكمال مقدار ماللمعلولها على الاقل . وبما أن حقيقتى ناقصة متناهية — أشعر بذلك بواسطة فكرة الكمال وفكرة اللامتناهى التى أجدها فى نفسى — فيلزم على ذلك أن تكون فكرة « الكامل » أو « اللامتناهى » فكرة لست أنا مصدرها ، إذ انى موجود ناقص متناه . واذن فهى فكرة لم يستطع ان يضعها فى نفسى الا موجود كامل لامتناه . ولما كان اسم الله يطلق على ذلك الموجود الكامل اللامتناهى ، فالله موجود .

* * *

الدليل الثانى :

هذا الدليل تكملة وتأييد للدليل الاول : انا الآن عارف انى موجود ناقص وفى ذهنى فكرة عن الموجود الكامل . فما علة وجودى ؟

لا أستطيع ان اتصور نفسى خالقاً لوجودى : إذ لو كان لى القدرة على ان أخلق نفسى ، لكان لى من باب أولى القدرة على ان أمنح نفسى ماينقصنى من كمالات . والحق انى لو كنت علة لوجود نفسى لكنت « أريد » ان امنح نفسى ماينقصنى من كمال ، لان « الإرادة تتجه حتما إلى ماتراه خيراً اعظم » ، ثم لكنت « أقدر » على ان امنح نفسى ذلك الكمال . لأن الكمال صفة من صفات الوجود أو وجه من وجوهه ؛ فالذى يستطيع ان يهب الوجود يستطيع أن يهب الكمال .

وأستطيع ان استبعد — للسبب عينه — جميع العلل التى هى اقل كمالا من الله : لأنها كان اخلق بها ان تمنح انفسها جميع الكمالات التى تنقصها ؛ واستطيع ايضاً ان استبعد ان يكون والداى علة وجودى ، إنما هما علة وجود بدنى .

فلم يبق إلا ان يكون خالقى هو الموجود الكامل . ولابد ان يكون عنده على الاقل كل ماعندى أنا ، لأن كل الحقيقة التى فى المعلول يجب ان توجد فى العلة . وإذن فلابد ان يكون لديه — مثلى على الاقل — فكرة الكمال. ولكنه فوق ذلك أكمل منى فى حقيقة الامر ، لأنه لو اعوزه الكمال لكانت له الإرادة والقدرة على ان يمنح ذاته إياه .

وإذن فالله موجود .

* * *

الدليل الثالث :

لعل أدق الادلة الديكارتية على وجود الله ، وابينها لمنحى الفيلسوف هو الدليل المشهور المعروف باسم « الدليل الانطولوجى » ؛ وقد سمى كذلك لأنه يمثل مجهوداً لاستخلاص وجود الله من نص فكرة الله ، على نحو ما تستخلص خواص المثلث من تعريفه .

ويمكن ان يلخص الدليل فيما يلى فى صورة قياس منطقى : الكائن الكامل هو الذى يملك جميع الكمالات .

لـكن الوجود أحد الكمالات

وإذن فمن التناقض ألا يكون الكائن الكامل موجوداً .

فهذا الدليل يبدأ من تعريف « الكائن الكامل » بأنه الكائن الذى يملك جميع الكمالات . لـكن الوجود من ضمن الكمالات . وإذن فالكائن الكامل موجود . وبعبارة اخرى اذا اعتبرنا فكرة الكامل ، اضطرتنا الضرورة المنطقية إلى القول بأنه موجود ، كما يضطرنا اعتبارنا لفكرة المثلث إلى الإقرار بأن مجموع زواياه يساوى قائمتين .

ومع ذلك فيواجهنا اعتراض اشار اليه ديكارت نفسه ورد عليه : إذا اعتبرت فكرة الجبل مثلا لم استطع أن افصلها عن فكرة الوادى ؛ ولـكن لاينتج من ذلك انه يوجد اى جبل أو واد فى الخارج . وكذلك قد نستطيع ان نقول إنى اذا اعتبرت فكرة الكامل لم استطع أن افصلها عن فكرة الوجود ؛ ولـكن يبقى أن نعرف هل خارج ذهنى كائن كامل موجود فى الواقع .

لـكن هذا الاعتراض ، فى نظر ديكارت ، إنما يبرز قيمة الدليل ، ويبين الميزة التى انفردت بها فكرة الكامل ؛ فهذه الفكرة تملك ميزة فريدة تميزها عما عداها : وهى انها ليست نحواً من أنحاء الوجود ، بل هى الوجود نفسه الذى تتضمنه الفكرة ؛ فإنك تستطيع أن تعرف الجبل أو المثلث دون ان يكون لهما وجود واقعى ، إذ أن علة الوجود هنا ، كما يقول ديكارت ، هى شىء آخر غير التعريف أو الماهية . أما فكرة الكامل فقد انفردت بأنك لاتستطيع ان تعرفها دون أن تأخذ الوجود فى التعريف ، مادام ان الوجود كمال . وبعبارة أخرى ، الوجود والماهية هنا شىء واحد ، وليسا شيئين منفصلين .

* * *

وأهم ماوجه الى الدليل الاخير من نقد يمكن أن يلخص فيما يلى :

ان الفكر لا سلطان له على الاشياء ، والضرورة المنطقية ليست ضرورة فعلية واقعية : فكونى لا أستطيع ان اتصور الكائن الكامل دون ان أتصوره موجوداً لايستلزم كونه موجوداً بالفعل وفى الواقع .

وكذلك أورد عليه الفيلسوف «كانت» الاعتراضين التاليين :

(١) إن هذا الدليل يراد به أن يستخلص «وجود» الله من «فكرة» الله أو «تصوره» . فالوجود الذى نصل اليه ليس إذن وجوداً واقعياً عينيا . وانما هو وجود ذهنى متصور .

(٢) الوجود ليس محمولا يمكن ان يضاف إلى الماهية فيوسع مفهومها المنطقى . والوجود ليس كمالا كما يقول ديكارت ؛ وما الوجود إلا نفس وضع الشىء أو إثباته خارج الذهن ، ومن حيث الكمال ليس الوجود شيئا : فمثلا اذا أضفت الى فكرة الحيوان صفة الناطق فإنك تزيد تصوره وتغنى مفهومه باضافة عنصر لم يكن موجوداً فى معنى الحيوان فقط ؛ ولكنك اذا أضفت الوجود الى معنى الحيوان ، وقلت الحيوان موجود ، لم تتغير فكرتك عن الحيوان . وكذلك ليست فكرتى عن الله «موجوداً» بأغنى ولا أوفر معنى من فكرتى عنه غير موجود بل ان مضمون فكرتنا عن الله واحد ، سواء تصورناه موجوداً أو غير موجود

لكن الانصاف يقتضينا أن نقول إن ديكارت لم يكن يرى الله تصوراً من تصورات أذهاننا ، ولا معنى «صنعه الذهن وركبه» وإنما هو عنده فكرة بأكمل معانى الفكرة ، يعنى حقيقة تراها النفس ، دون أن تصنعها ، وفكرة من شأنها أننا إذا نظرنا فى حقيقتها وطبيعتها وجدناها تتضمن بالضرورة حقيقة موضوعها . وتلك ميزة اختصت بها فكرة الله ولا توجد فى تصور أى شىء سواه .

وبعد فقد اعتقد ديكارت خلافا للشكاك وغيرهم — أن اثبات وجود الله عن طريق الاستدلال العقلى أمر ممكن ، بل ميسور جداً ، ويقينه أكثر من يقين البراهين الرياضية . لكن بعض المفكرين فى العصور الحديثة أنكروا استعمال الدليل فى معرفة الله ، وقالوا إن معرفة الله لاتتم إلا بالحدس والذوق والكشف .

المسجد الحـــــرام

المسجد الحرام منارة التوحيد، ومشرق الايمان، ومطلع الهدى والعرفان، فى مختلف الحقب والأزمان، وكيف لا وهو محلة البيت العتيق، ذى المجد الأثيل والشرف العريق، وقد وضع اسس هذا البيت وجدّر جدره، ورفع قواعده وشاد دعائمه، إبراهيم خليل الرحمن، بوحى من الإله الواحد الأحد الديان، وأين مقام إبراهيم بأرض الشام الناضرة، من مكة المجدبة القاحلة.

لقد شاءت الأقدار لإبراهيم ان يقطع البرية، ويعبر السهل والوعر، والخصب والقفر، ما بين الشام والبلد الحرام، هاجر من فلسطين بابنه إسماعيل وأمه هاجر إلى مكة، ونزل بها هناك حيث لا أنيس ولا جليس، ولا ساغب ولا لاغب، بين سطو الذئاب وفتك الوحوش، وحر الشمس، ولفح البرد — تنفيذاً لأمر الله — ترعاهم عينه، وتحوطهم رعايته، ولما همّ بالانصراف تعلقت به زوجه قائلة «كيف تتركنا بأرض ليس فيها زرع ولا ضرع، ولا ماء ولا زاد، فسمعت منه جواب النبيين — ورد الحنيفيين «ربى أمرنى» فكانت برداً وسلاماً على قلبها الطائر، وفؤادها الخائف وقالت «إذن لا يضيعنا» فودعهما إبراهيم وترك لهما بعض ما يتبلغان به، فاتخذت هاجر عريشاً أوت اليه مع ابنها يسدّان الرمق من مزود التمرد، ويطفئان الظمأ من مزادة الماء، فلما فقد الماء والزاد، جعلت هاجر تهرول ساعية، وتجيل بصرها باحثة، حتى نزلت الوادى تلتمس ماء. فلما أتمت السعى سبعاً بين الصفا والمروة، رجعت إلى ولدها مهورة النفس، قد غلبها اليأس، فألفت الشدة أقلعت، والغمة انجلت، والنبع النمير يفيض تحت قدمى الطفل الصغير، ذلكم هى زمزم المطهرة، بضت من الصخرة البالية، فارتوت

وأروت وليدها معها ، وحبست الماء عن السيل حتى لا يضيع فى الرمال ، وكانت هذه العين النابضة لهاجر — ثروة لا تقدر بمال .

واستهوت زمزم وماؤها المتفجر بعض القبائل للمقام على مقربة منها ، وكانت جرهم أولى القبائل التى ألقت عصا التسيار عندها ، وشب اسماعيل وتزوج فتاة من جرهم ، وأقام وإياها فى هذا المكان . وبعد سنوات وفد ابراهيم على مكة . فوجد اسماعيل يبرى نباله تحت دوحة قريبة من زمزم — وتبادلا تحية الأبوة والبنوة ، ثم قال ابراهيم لابنه ، يا إسماعيل . إن الله أمرنى بأمر . قال فاصنع ما أمرك ربك ، قال وتعيننى ، قال وأعينك ، قال فإن الله أمرنى أن أبنى بيتاً هنا ، وأشار إلى أكمة مرتفعة على ما حولها « وإذ بوأنا لإبراهيم مكان البيت أن لا تشرك بى شيئاً ، وطهر بيتى للطائفين والقائمين والرُّكع السجود » وعند ذلك رفعا القواعد من البيت ، فجعل اسماعيل يجيء بالحجارة وابراهيم يبنى حتى ارتفع البناء . فطلب ابراهيم إلى ابنه ان يجيئه بحجر فقام عليه ابراهيم . فذلك مقام ابراهيم ، وكانا يضرعان إلى الله ان يتوج عملهما بالقبول « وإذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم »

ولما تم البناء جعل له ابراهيم بابين ملاصقين للأرض ، أولهما من الجهة الشرقية مما يلى الحجر الأسود ، والآخر من الجهة الغربية مما يلى الركن اليمانى ، ولم يجعل على البناء سقفاً ، ولم يضع على بابه أبواباً تفتح وتغلق ، وروى أن ابراهيم حفر فى داخله بئراً تكون خزانة له ، وأذن ابراهيم فى العالمين بأن الله قد بنى بيتاً فحجوه « وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجال وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم » .

بهذا رفع ابراهيم القواعد من البيت واسماعيل ، وطهراه للطائفين والقائمين والركع السجود ، وجعلاه مثابة للناس وأمنا ، فكان هذا البناء أول بيت وضع لعبادة الله فى الأرض « إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى

للعالمين . فيه آيات بينات مقام ابراهيم ، ومن دخله كان آمنا ، ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا » .

ويذهب بعض المؤرخين فى تاريخ بناء البيت إلى ما هو أبعد من ذلك . يرى فريق منهم أن الملائكة اول من بنته ، ويذهب فريق آخر إلى ان آدم أول بان له — ويقصون فى ذلك روايات لها جمال الشعر وروعة الخيال ، وهذه الروايات عن بناء الملائكة وآدم وأبنائه ممن سبقوا إبراهيم — الكعبة. يعتبرها أكثر العلماء من الاسرائيليات التى دست على الإسلام فليس لها فى كتاب كريم سبق نزول القرآن مسند ولا دليل ، فالقرائن كلها على ان وادى مكة كان غير ذى زرع حين جاء إبراهيم بهاجر وابنه اسماعيل .

فلو ان هيكلا للعبادة . او أثراً لهذا الهيكل كان قائماً به . لأقام به جواره كهنة وسدنة ينالون من قاصديه رزقهم : والذى نجزم به هو ما قصه علينا القرآن الكريم . من ان أول بان للكعبة هو إبراهيم وابنه إسماعيل عليهما السلام .

والكعبة منذ بنائها ، طائرة الصيت ، ذائعة الشهرة ، ملحوظة العناية ، مرموقة المكانة ، يعدها العرب مناط عزهم ، وموضع فخرهم ، ويتنافسون فى خدمتها . ويعتبرون ذلك شرفا رفيعاً ، وعزا منيعاً .

وخلفت العمالقة وجرهم ، اسماعيل عليه السلام على مكة أجيالا متعاقبة تبلغ ثلاثمائة سنة او تزيد . فأعاد هؤلاء ثم اولئك بناء البيت وأقاموا على تعظيمه ولم يجرؤ أحد منهم أن يأخذ من هدايا البيت المحفوظة بالبئر، مخافة ان ينزل به ماينزل من عقاب رب البيت .

غير ان السهيلى روى فى الروض الآنف . ان سارقاً سرق من مال الكعبة فى زمن جرهم . وانه نزل البئر التى فيها كنزها ، فسقط عليه حجر حبسه فيها . حتى اخرج منها . وانتزع المال منه ، ثم بعث الله حية لها رأس كرأس الجدى بيضاء البطن سوداء المتن . فكانت فى بئر الكعبة خمسمائة عام .

ويذهب بعض المؤرخين إلى أن مكة لم يكن بها بناء غير الكعبة . وأنها كانت

قائمة فى الفلاة . لا يبنى أحد حولها إعظاماً لحرمتها . ولما قدم قصى مكة . وأقام بها وملك أمرها ، جمع قريشاً وأمرهم أن يبنوا بها ، وابتدأ هو . فبنى دار الندوة على مقربة من الكعبة ، وهدم الكعبة لما وهى بنيانها . وأعادها وسقفها بخشب الدوم وجذوع النخل ، واجتمعت لقصى الحجابة والسقاية . والرفادة والندوة . واللواء والقيادة . وهذه المناصب الضخمة الفخمة . أصبحت كلها فى يد قصى بن كلاب ، فى منتصف القرن الخامس الميلادى ، والقيادة إمارة الجيش إذا خرجوا لحرب . واللواء راية يلوونها على رمح ، وينصبونها علامة للعسكر إذا توجهوا إلى عدو ، والندوة رياسة الاجتماع كل أيام العام ، والسقاية إسقاء الحجيج الماء العذب الذى كان عزيزاً بمكة . والحجابة سدانة البيت وحفظ مفاتيحه . والرفادة إطعام الحاج جميعاً .

يروى أن قصياً جمع قريشاً وقال لهم « يامعشر قريش . إنكم جيران الله وأهل بيته . وأهل حرمه . وان الحاج ضيف الله وزوار بيته . وهم أحق الأضياف بالكرامة . فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج ، حتى يصدروا عنكم » .

وتداول أبناء قصى من بعده مناصب الكعبة، حتى استقرت السقاية والرفادة فى يد عبدالمطلب. فلقى فى سقاية الحجيج مشقة وعناء ، لأن مضاضاً الجرهمى فى العهود القديمة كان قدطم زمزم وأهال الرمال عليها ، وتوالت السنون . واختفى أثرها عن العيون وبينما كان عبد المطلب فى مضجعه . يفكر فى تدبير الماء لوفود بيت الله ، هتف به هاتف أثناء نومه . يحضه على أن يحفر البئر التى تفجرت تحت أقدام جده اسماعيل ، وألح الهاتف يدله على مكان وجودها ، وألح هو باحثاً عن ماء زمزم. فاهتدى إليها بين أساف ونائلة وهما صنمان من الأصنام فحفرها . وعثر على غزالتين من الذهب. وأسياف كان مضاض الجرهمى قد خبأها فيها — فضرب عبد المطلب الأسياف باباً للكعبة ، وضرب فى الباب غزالة الذهب حلية للبيت الحرام .

وقبل بعثة خاتم الأنبياء والمرسلين بخمس سنين — جاء سيل من السيول

العوارم التى كانت تصيب مكة من حين إلى حين — فأوهى بنيان الكعبة وصدّع جدرانها . وكانت قبل ذلك قد أصابها حريق بسبب شرارة من مجمرة امرأة كانت تجمرها ، ففزعت قريش لذلك أيما فزع ، وبقيت مترددة فى هدمها وإعادة بنائها حتى قال لهم الوليد بن المغيرة : ألستم تريدون الأصلاح قالوا بلى . قال فأن الله لا يهلك المصاحين . فنزلوا عند رأيه ، وجمعوا لعمارتها طيب أموالهم . لم يدخلوا فيه ربا ولا ميسراً ولا مهر بغى ولا شيئاً اكتسبوه غصباً ، وشرعوا يبنونها وكان الرجال يحملون الحجارة . ومحمد . يشاركهم فى ذلك . ولما قصرت بهم النفقة عن إقامتها على قواعد ابراهيم . تركوا من الجهة الشرقية ستة أذرع . يشهد لذلك ما رواه الشيخان عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها قالت « سألت رسول الله ﷺ عن الجدار أمِنَ البيت هو ؟ قال نعم . قلت فمالهم لم يدخلوه فى البيت ؟ قال « ألم ترى إلى قومك قد قصرت بهم النفقة ، قلت فما شأن بابه مرتفعاً . قال فعل ذلك قومك ليدخلوا من شاءوا . ويمنعوا من شاءوا . ولولا أن قومك حديثو عهد بكفر . لبنيت الكعبة على قواعد ابراهيم »

ولما أتموا البناء اختلفوا فيمن يكون له شرف وضع الحجرُ الأسود ، وكاد الأمر يفضى إلى القتال . فارتضوا محمدا حكما بينهم ، فطلب رداء وضع الحجر فيه وأمر القبائل فأخذت كل قبيلة بطرف من الرداء ، ثم رفعوه جميعا حتى وصلوا إلى مكان الحجر فأخذه النبى بيده ووضعه موضعه الآن :

وذاعت شهرة الكعبة فى الخافقين . وجاوز صيتها المشرقين إلى المغربين ، لما بعث الله سيد المرسلين ، خاتما للنبيين . وهاديا للعالمين ، وكانت مكة فى ذلك الحين فى جهالة فاشية وفتن غاشية . يقدسون الأصنام . ويعبدون الأوثان ، ويستقسمون عندها بالأزلام . ومن عجب أن يكون بيت التوحيد موطنا لنصب العبيد ، وان تذل الانسانية العاقلة لخشب مسندة ، وانصاب قائمة ، فدعا رسول الله إلى اطلاق الأفكار من اسارها ، والعقول من اغلالها — فلا هبل ولا اللات . ولا

العزى ولا مناة ، ولا غيرهما مما أقامه الوثنيون يستطيع لنفسه نفعاً ولا ضراً ، ولا يدفع عنها بغياً ولا شراً ، وما هى إلا أسماء سموها ، وأحجاراً ألهوها ، ما أنزل الله بها من سلطان .

وكم شهدت الكعبة من مواقف خالدات ، ثبت فيها رسول الله ثبات الجبال الراسيات .

لقد حاول رجل قتله عند الكعبة فعصمه الله ، وطرح عليه أحدهم فرث الجزور . فما ضعف فى سبيل الدعوة إلى الله ، إلى غير ذلك من مؤامرات ومساءات ، وكان فى هذه الفترة ان اجتمعت العصبة فى دار الندوة ، وبيتوا النية على قتله — فأذن الله له بالهجرة ، وتمضى الأيام والشهور سراعا ، وتتوالى السنون تباعا ، ويفتح الله للمسلمين البلد الأمين ، فيدخلها رسول الله حانياً ظهره شكراً ، غاضاً طرفه حمداً ، لم يلق سيفاً قائماً ، ولا رجلا شاكياً « لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله آمنين محلقين رؤوسكم ومقصرين لا تخافون الآية » فأعاد محمد الكعبة كما نشأت بيتاً للتوحيد خالصاً ، وطهرها من الأصنام والأوثان والأنصاب والأزلام ، وفى ذلك يقول الدكتور هيكل فى كتابه حياة محمد حين تكلم على فتح مكة « ودخل محمد الكعبة فرأى جدرانها صورت عليها الملائكة والنبيون ، ورأى إبراهيم مصوراً وفى يده الأزلام يستقسم بها — ورأى تمثال حمامة من عيدان . فكسرها بيده وألقاها إلى الأرض . أما صورة إبراهيم ، فنظر محمد إليها مليا وقال قاتلهم الله . جعلوا شيخنا يستقسم بالأزلام ، وما شأن إبراهيم والأزلام ، « ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ، ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين » أما الملائكة الذين صوّروا نساء ذوات جمال ، فقد أنكر محمد صورهم ، ان ليست الملائكة ذكوراً ولا إناثاً ، ثم أمر بتلك الصور فطمست ، وكانت حول الكعبة الأصنام التى تعبدها قريش من دون الله ، قد شدّت إلى جدرها بالرصاص . كما كان هبل فى

داخل الكعبة ، فجعل محمد يشير إلى هذه الأصنام جميعاً بقضيب فى يده وهو يقول: « جاء الحق وزهق الباطل ، ان الباطل كان زهوقا » وكبت الأصنام على وجوهها وظهورها ، وطهر البيت الحرام منها — وأتم محمد بذلك فى أول يوم لفتح مكة ما دعا إليه منذ عشرين سنة ، وما دعا إليه جده الخليل ابراهيم منذ آلاف السنين » انتهى كلام الدكتور هيكل ملخصاً :

أتم محمد تحطيم الأصنام والقضاء على الوثنية فى البيت الحرام ، وطهر بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود : وفى عهد عبدالله بن الزبير رضى الله عنه ، أوقد أحد العرب ناراً فى خيمة قائمة بين ركن الحجر الأسود والركن اليمانى . فطارت شرارة فعلقت بأستار الكعبة . ولما كان البناء يومئذ مدماكا من حجر ومدماكا من خشب الساج . احترق الخشب ووهن البناء كله . حتى كان وقوع الحمام على الكعبة كافيا لتناثر حجارتها — فهدمها عبدالله بن الزبير وشرع فى إعادة بنائها . . وفى فترة البناء . بعث إليه عبدالله بن عباس رضى الله عنهما يقول : لا تدع الناس بغير قبلة . انصب لهم حول الكعبة الخشب . واجعل عليها الستور . حتى يطوف الناس من ورائها ويصلوا إليها . ونفذ ابن الزبير مشورة ابن عباس . وأفضى ابن الزبير بالكعبة إلى قواعد ابراهيم . وألصق بابها بالأرض ، وجعل لها باباً آخر وأدخل الحجر فيه ، ولما ولى الخلافة عبدالملك بن مروان . وكان بينه وبين ابن الزبير ما كان مما هو معروف فى التاريخ . قال : لسنا من تخليط ابن الزبير ، وهدم الكعبة وبناها على ما كانت عليه فى عهد رسول الله ، ولما ذكر بعد ذلك بحديث عائشة التى سقناه قبل ذلك . قال « وددت لو أنى تركت ابن الزبير وما تحمل من ذلك » .

ولما تولى هارون الرشيد الخلافة . سأل الأمام مالكاً فى هدم الكعبة . وردها إلى بناء ابن الزبير فقال له مالك رضى الله عنه « يا أمير المؤمنين : لا تجعل كعبة الله ملعبة للملوك . لا يشاء أحد أن يهدمها إلا هدمها » فترك الرشيد

الكعبة كما هى ، وبقى الأمر على بناء الزبير . لا يزيد المسلمون على أن يشدوا من بناء الكعبة ما قد وهن ، فلما كانت سنة ١٢٤٠ ه هطل بمكة مطر عظيم دخل المسجد الحرام. وارتفع حتى دخل الكعبة ووهَّن بناءها . وسقط بعض الجدارين الشرقى والغربى — وعندئذ انزعج الناس وزلزلوا زلزالا شديداً . وترامى نبأ الكعبة وما أصابها إلى الأقطار الإسلامية ، فأرسل محمد باشا الألبانى والى مصر رسوله إلى مكة لعمارة الكعبة ، فأحاطها بسياج من الخشب يطوف الناس به ويتخذونه قبلتهم كما فعل ابن الزبير وقد سقط مطر آخر هدم بعض أحجار الكعبة من الجدار الغربى فى أثناء ذلك . وكان البناء ضعيفاً واهيا . فهدم البيت كله . وأقيم بناء ثابت قوى . وهذا البناء الذى شاركت فيه مصر بالحظ الأوفر هو بناء الكعبة القائم الآن .

وفى فجر الإسلام . لم يكن حول الكعبة مسجد معمور ، بل لم يكن حولها مكان مسوَّر ، وإنما كان حرمها متصلا بالطريق والمساكن . وظل الأمر كذلك إلى أن امتد الفتح الإسلامى فى عهد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وكثر الذين يشهدون الحج ، وضاق الفضاء المحيط بالكعبة بهم حين الصلاة ، فاشترى عمر الدور المحيطة بها ، وأدخلها فى حرمها . وأحاطها بجدار قصير لا يرتفع إلى قامة الرجل ، ووضع عليه المصابيح ، واحتذى عثمان ومن بعده عبدالله بن الزبير ، مثال عمر فأضافا إلى المسجد دوراً جديدة ، وفى عهد عبدالملك بن مروان ، رفعت جدر المسجد وسقف بخشب الساج الداكن اللون المتين ، وجعل فى رأس كل اسطوانة عشرون مثقالا من الذهب ، وجاء ابنه الوليد من بعده ، فوسع المسجد وزخرف السقف ، وأزر أسفل المسجد بالرخام ، وجعل له شرفا ونقل إليه أساطين الرخام ، وجعل على الذهب فى رأسها صفائح من نحاس ، وزخرف الأبواب بالفسيفساء .

ولما كانت دولة بنى العباس، اتجهت أنظارهم إلى المسجد الحرام، وإلى الزيادة

فيه ، فزاد أبو جعفر المنصور فيه ، وجعله ضعف ما كان عليه ، وزينه بالذهب وأنواع النقوش وغطى حجر إسماعيل بالرخام .

وكانت الكعبة إلى ذلك الحين فى جانب من المسجد ، فلما جاء الخليفة المهدى قال : « لابد لى من سعة المسجد حتى تكون الكعبة فى وسطه ، ولو أنفقت فيه جميع ما فى بيوت المال » .

ومما يذكر ان أصحاب الدور التى دخلت فى هذه الزيادة ، اشتطوا فى أثمانها — حتى بلغ ثمن الذراع مما دخل المسجد اثنى عشر جنيهاً ونصف الجنيه ، ولم يضف إلى المسجد بعد ذلك غير اضافتين جزئيتين .

وكان لخلفاء بنى عثمان ولملوك مصر وأمرائها حظ عظيم من ذلك . وقد بلغ ما أنفقته مصر على العمارة الأخيرة خمسة وخمسين الفاً من الجنيهات ، عدا مائة الف من الذهب الأبريز ، وعدا ما قدمته مصر من مواد العمارة كالخشب والحديد وأهلة القباب المموهة بالذهب .

وللكعبة عدا المسجد ، حرم واسع الأطراف ، بعيد الأكناف ، لايدخله المسلم إلا وهو محرم ، ولم يقف احترام هذا الحرم على تأمين الانسان ، بل تناول الحيوان والنبات ، لا يعضد شوكه ، ولا ينفر صيده ، ولا يلتقط لقطته إلا من عرفها ، ولا يختلى خلاه .

هذا هو البيت الحرام الذى حاطه الله بعنايته ، وحفظه برعايته ، وردّ عنه كيد الكائدين وبغى المعتدين ، وعصمه من أصحاب الفيل ، فأرسل عليهم طيراً أبابيل، ترميهم بحجارة من سجيل — فجعلهم كعصف مأكول . وجعله قرة عين العرب والعجم ، ومهوى افئدة الشعوب والأمم ، سيقت إليه الهدايا الجزيلة ، والهبات الجليلة ، فى العصور القديمة والحديثة ، من كل شعب وقبيلة — فقد نقل ان التبابعة كانت تحج البيت وتعظمه ، وان تبعا كساه الملاء والوصائل ، وقد اختار الله هذا البيت للمسلمين ، تتجه اليه أبصارهم فى دعواتهم ، وتنحنى فى قبالته ظهورهم

وجباههم فى صلواتهم « فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره » .

وهذا هو المسجد الحرام ، الملحوظ من الملك العلام بعين التجلة والاعظام ، من يرد فيه بإلحاد بظلم يذقه الله من عذاب اليم — ومن يقصده معظماً ، ويحج اليه مكرماً ، رفعت درجاته وزيدت حسناته — قال ﷺ « صلاة فى مسجدى هذا أفضل من الف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام ، وصلاة فى المسجد الحرام أفضل من صلاة فى مسجدى هذا بمائة صلاة » .

وهذا هو البلد الحرام ، الذى حرّمه الله منذ خلق السموات والأرض ، وجعله دار أمن وسلام ، وهدى وإيمان ، وموطناً لسيد العالمين ، ومبعثاً لخاتم الأنبياء والمرسلين ، وقد أقسم الله به فى كتابه المبين تبياناً لفضله ، ودلالة على عظم شأنه فقال « لا أقسم بهذا البلد ، وأنت حل بهذا البلد » وقال جل شأنه : « والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين » ودعا إبراهيم الخليل بوفرة الخيرات وكثرة الثمرات ، وحب الأفراد والجماعات فقال « ربنا إنى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ، ربنا ليقيموا الصلاة ، فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون » .

هذه ذكريات مجيدة — ونفحات عاطرة — واشراقات ساطعة — تملأ الدنيا ضياء ونوراً ، وتفيض بها نفوس المؤمنين بشراً وسروراً .

وبعد : فإنا نسوق هذه اللمحة العابرة من التاريخ المشرق المنير لهذا البيت العظيم والحرم الأمين بمناسبة الاحتفال بذكرى الإسراء والمعراج بخاتم الأنبياء والمرسلين .

عبد الحميد طه

إمام وخطيب ومدرس مسجد السلطان أبى العلاء

المسجد الاقصى

المسجد الاقصى ثالث ثلاثة — هى مهد النبوات، ومعهد الرسالات، ومتنزل الوحى والآيات البينات — خلد الله ذكرها فى كتب المرسلين، ورد عنها كيد الكائدين، وحطم حولها عنفوان الفاتحين، واتخذها لدينه منارا، ولرسله دارا، ولخلصائه مزارا، وكساها بهاء ونورا، وجعل الحج اليها مبرورا والسعى مشكورا ..

أما ثانيها فالمسجد النبوى فى المدينة المنورة، وأما أولها فالمسجد الحرام بمكة المكرمة تلك هى المساجد الثلاثة التى تتيه بتاريخها المجيد، وعمرها المديد على قصور الملوك الصيد فأين منها الخورنق (١) والسدير (٢)، بل أين منها ماشاده شداد فى إرم !! اتى على الكل حادث الزمن،، وبقيت هى رفيعة الشان، شامخة البنيان، عامرة بذكر الرحمن. تشخص ابصار المؤمنين اليها، وتنبض قلوبهم بحبها، وتشد رحالهم شطرها. يفدون عليها من كل واد سحيق، وفج عميق. إناثا وذكرانا. شيباً وشبانا. رجالا وركبانا. ضارعة نفوسهم. وجلة قلوبهم، منهلة مدامعهم. لهم عند الكعبة دعوات وضراعات، وفى الروضة فيوضات واشراقات وتحت الصخرة ذكريات عاطرات .. فسبحان من باركها ومجدها، وطهرها وقدسها، وجعلها هدى للعالمين !

* * *

والمسجد الاقصى يقع ببيت المقدس من ارض كنعان، وهى مدينة قديمة العهد. تليدة المجد. رفيعة الشان، تحدث عنها التوراة والانجيل والقرآن، وتردد فى رحابها ابراهيم واسحاق ويعقوب ويوسف وموسى وهرون وداود وسليمان، وعيسى وأمه العذراء مريم ابنة عمران، وكان آخر عهدها بالرسل انها كانت

---

(١) الخورنق: قصر بالعراق بناه النعمان الاكبر وهو فارسى معرب.

(٢) السدير: قصر عظيم البناء بناحية اليمن.

منتهى اسراء نبى آخر الزمان ، ومبدأ عروجه لمناجاة الواحد الأحد المتنزه عن الزمان والمكان ،

وبيت المقدس هى الارض التى باركها رب السماء ، فشع منها النور والضياء فى جميع الآفاق والارجاء . بكثرة مابعث فيها من الرسل والانبياء . « سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذى باركنا حوله »

جعلها رب العالمين منجاة لابراهيم الخليل من القوم الظالمين ، ومأوى لرسوله لوط من العصبة المفسدين « ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين » قال ابن عباس هى بيت المقدس ،

وهى الارض المقدسة التى أمر الله بنى اسرائيل ان يدخلوها ، فتمردوا ، وجبنوا ، واعتذروا بوجود الجبارين فيها « ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين . قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ، فان يخرجوا منها فانا داخلون » الآيات

وفى هذه المدينة المقدسة استقر التابوت الذى جعله الله آية على ملك طالوت « وقال لهم نبيهم إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة . إن فى ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين »

ولهذا التابوت قصة طريفة وأخبار بعيدة سابقة على عهد طالوت وجالوت أشار إليها ابن خلدون فى مقدمته فى الفصل الذى عقده للكلام على فضل المساجد الثلاثة فقال : « إن موسى — صلوات الله وسلامه عليه — لما خرج ببنى اسرائيل من مصر لتمليكهم بيت المقدس كما وعد الله أباهم اسرائيل وأباه اسحاق من قبله وأقاموا بأرض التيه — أمره الله باتخاذ قبة من خشب السنط عين بالوحى مقدارها وصفتها وهياكلها وتماثيلها ، وان يكون فيها التابوت ومائدة بصحافها ، ومنارة بقناديلها وان يصنع مذبحاً للقربان . وصف ذلك كله فى التوراة أكمل وصف ، فصنع القبة ، ووضع فيها تابوت العهد ، وهو التابوت الذى فيه الالواح المصنوعة عوضاً عن الالواح المنزلة بالكلمات العشر لما تكسرت ، ووضع

المذبح عندها ، وعهد الله الى موسى ان يكون هارون صاحب القربان ، ونصبوا تلك القبة بين خيامهم فى التيه يصلون اليها ، ويتقربون فى المذبح امامها ، ويتعرضون للوحى عندها ولما ملكوا الشام بقيت تلك القبة قبلتهم ، ووضعوها على الصخرة ببيت المقدس »

وقال المؤرخ الفرنسى جيلمان : « ان بيت المقدس أو مدينة أورشليم — كما يسميها — صارت قاعدة لملك داود عليه السلام — وقد شيد له فيها قصراً ، ووضع تابوت العهد على الجبل المسمى فى ذلك العصر بجبل « موريا » منها . وقد أخبر بما ستصير اليه فيما بعد من العظمة والجلال مدينة القدس الجديدة التى ستشيد بعد على مكان مدينة أورشليم هذه التى كان هو قد بناها ، وكان اول من اختطها وشيدها . »

* * *

وأول ما كان من عمارة المسجد الاقصى ان داود — عليه السلام — اراد ان يكون له شرف بنائه ووضع أساسه ، ورفع قواعده ، ولكن لم تتحقق إرادته ولم تنفذ مشيئته لأمر قضاه الله ، ويجلى لنا هذا الامر ماذكره الدكتور محمد حسين هيكل فى كتابه منزل الوحى حين تكلم على زيادة عمر بن الخطاب — رضى الله عنه — فى المسجد النبوى فى المدينة المنورة فقال : لما رفض العباس بن عبد المطلب أن يخلى داره لتضم الى المسجد بناء على طلب أمير المؤمنين عمر بن الخطاب احتكما الى ابى بن كعب ، فذكر لهما انه سمعه — ﷺ — يقول : « إن الله أوحى إلى داود ان ابن لى بيتاً أذكر فيه فخط داود خطة بيت المقدس فإذا تربيعها ببيت رجل من بنى اسرائيل ، فسأله داود ان يبيعه إياها فأبى . فحدثت داود نفسه ان يأخذها ، فأوحى الله اليه : أن ياداود امرتك ان تبنى لى بيتاً أذكر فيه ، فأردت ان تدخل فى بيتى الغصب وليس من شأنى الغصب . إن عقوبتك ألا تبنيه . قال : يارب فمن ولدى ؟ قال : فمن ولدك وبناه سليمان بن داود . الخ » فسليمان — عليه السلام — أول من بنى المسجد الاقصى ، وكان بدء العمارة فيه سنة ١٠١٦ قبل

ميلاد المسيح ، واستغرق بناؤه سبع سنين ونصف سنة ، وسليمان كان رجل عمارة وبناء وقد ذكر فى سفر الملوك الاول ص ٩ العمائر التى قام بها سليمان وهى : (١) بيت الرب (٢) وبيت الملك (٣) وسور أورشليم (٤) وحاصور (٥) ومجدو (٦) وجازر (٧) وبيت حورون السفلى (٨) وبعلة (٩) وتدمر فى البرية — كل ذلك عدا المخازن ومدن المركبات ومدن الفرسان وما بناه فى لبنان وغيرها من سائر مملكته ، وحب سليمان لإقامة المبانى الفخمة شىء معروف قبل الاسلام ولا سيما لمن أوتوا حظاً من المعرفة بسبب كثرة ترحالهم وتنقلهم فى البلاد ، وقد أشار إلى ذلك النابغة الذبيانى فى قصيدته التى يعتذر فيها إلى النعمان بن المنذر إذ يقول :

ولا أرى فاعلا فى الناس يشبهه ولا أحاشى من الاقوام من أحد
إلا سليمان إذ قال الإله له قم فى البرية فاحددها[١] عن الفند[٢]
وخيس الجن أنى قد أذنت لهم يبنون تدمر[٣] بالصفاح[٤] والعمد

وقد جاء المسجد الاقصى آية فى الروعة والعظمة ، وحسبك من بناء غشيت أبوابه بالذهب ، واتخذت أعمدته من الصفر ، وأسيل لبانيه عين القطر[٥] وسخر له الجن « يعملون له مايشاء من محاريب وتماثيل وجفان[٦] كالجواب[٧] وقدور راسيات اعملوا آل داود شكراً وقليل من عبادى الشكور »

قال جيلمان المؤرخ : « ولما أتم سليمان بناءه وأكمل عمارته عقد موكبا حافلا وموسماً شاملا حضره جم غفير وقوم كثير لقصد إيقافه على عبادة المولى الجليل ووضع تابوت فى المكان الاقدس ، وحرم سليمان التضحية لله فى غير الهيكل المقدس إشارة الى إظهار وحدانيته بدليل وحدة معبده وقبلته »

* * *

وظل المسجد الاقصى بعد ذلك متبوأ النبيين ، ومثوى القديسين ، ومجمع

---

(١) احددها : امنعها (٢) الفند : الأثم (٣) تدمر : كتنصر . مدينة بالشام
(٤) الصفاح : حجارة عراض رقاق (٥) القطر : النحاس (٦) الجفان : القصاع
(٧) الجواب : جمع جابية وهى حوض كبير

الربانيين ... يصلى فيه زكريا ويتنسك ، ويعبد ويتهجد ، ويقف فى محرابه ضارعاً ، ويلجأ إلى ربه متوسلا ، ويرفع يديه داعياً « رب لا تذرنى فرداً وأنت خير الوارثين » فيستجيب الله الدعاء ، ويحقق الرجاء ، ويهبه غلاما زكيا . يرثه ويرث من آل يعقوب « فنادته الملائكة وهو قائم يصلى فى المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا بكلمة من الله وسيداً وحصورا ونبياً من الصالحين » .

وتقصد أم مريم المسجد الاقصى بابنتها الوحيدة وفلذة كبدها . وفاء بنذرها وهناك تتركها بين سدنة البيت يكفلونها ، وتقفل راجعة ان قبل الله قربانها « اذ قالت امرأة عمران رب انى نذرت لك مافى بطنى محرراً فتقبل منى انك انت السميع العليم . فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها انثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم . فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفلها زكريا » . فبنى لها زكريا غرفة فى المسجد الاقصى ، وكان دائماً يتفقد شئونها ، ويتردد عليها فى محرابها « كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا ، قال يامريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب »

وفى ليلة الاسراء والمعراج اقام الله لرسولنا الامين حفل تكريم فى المسجد الاقصى . جمع له فيه الانبياء والمرسلين ، فأمهم فى الصلاة ، وخطب فيهم فقال : « الحمد لله ارسلنى رحمة للعالمين ، وكافة للناس بشيراً ونذيرا ، وأنزل على الفرقان فيه تبيان كل شىء ، وجعل امتى خير امة ، وشرح لى صدرى ، ووضع عنى وزرى وجعلنى فاتحاً وخاتما ... فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد » .

ومن صخرته المقدسة عرج برسول الله الى حضرة القدس ، وبسط له بساط الانس ودنا من ربه مقاما لم يبلغه الخليل ولا الكليم ، ولا وصل اليه ملك مقرب ولا نبى مرسل .

* * *

والمسجد الاقصى هو اول القبلتين . ولى المسلمون وجوههم شطره فى الصلاة ولما أسس الرسول مسجده بالمدينة جعل قبلته تجاه بيت المقدس ، ثم اوحى الله

اليه على رأس سبعة عشر شهرا من مقامه بالمدينة ان يجعل قبلته الى المسجد الحرام « قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره »

* * *

والمسجد الاقصى الى عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب لم يكن مسجداً بالمعنى الذى يفهمه المسلمون ، واطلاق المسجدية عليه فى سورة الاسراء إيذان بأن هذا المعبد الذى اشرق فيه نور الانبياء السابقين سيصير مسجدا تقام فيه شعائر المسلمين . وقد حقق الله ذلك على يد عمر . . فتحت له بيت المقدس أبوابها ، واستقبلته استقبال الظافر المحبوب لعدله وتسامحه . وسار عمر يجوس خلالها ويشاهد آثارها ، فرأى اطلال هيكل سليمان ، ومحراب داود ، وصخرة يعقوب ، وقريباً من الصخرة ادركت عمر الصلاة فصلى ، وفى هذا المكان شيد المسلمون مسجداً هو المسجد الاقصى .

وقد ورد فى بيان فضله ، وتعظيم شأنه احاديث كثيرة قال صلى الله عليه وسلم : « ان سليمان ابن داود عليهما السلام — لما بنى بيت المقدس سأل الله عز وجل ، خلالا ثلاثة . حكما يصادف حكمه فأوتيه . وملكا لا ينبغى لاحد من بعده فأوتيه ، وسأل الله تعالى حين فرغ من بنائه الا يأتيه احد لا ينهزه الا الصلاة فيه أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته امه » رواه النسائى ؛ وروى ابو داود وابن ماجة عن ميمونة مولاة النبى صلى الله عليه وسلم انها قالت : افتنا يارسول الله فى بيت المقدس . فقال : « ائتوه فصلوا فيه فان لم تأتوه وتصلوا فيه فابعثوا اليه بزيت يسرج فى قناديله » .

هذه ذكريات عاطرات ماجدات فى فم الزمان ، يستعرضها العقل ويشدو بها اللسان ويتسامى نغمها ويحلو وقعها فى الآذان ، وتتمايل لها اعطاف المحبين لسيد العالمين ، صلوات الله وسلامه عليه فى الاولين والآخرين ، وعلى اخوانه الانبياء والمرسلين

محمد رجب البيلى

دبلوم معهد الآثار العالى

الخلود بين الدين والفلسفة

أمل عذب اشتد الهيام به فاكتسى بثياب الواقع ، وخيال جميل طاب لنا أن نحلق فى سمائه فلبس رداء الحقيقة ، ومخبأ بحثنا وراء كنهه حتى كدنا نظهره فى مظهر الموجود ، وهو سلوة نتسلى بها عن الحرمان وسوء الحظ ونكد الطالع ، إنه يأتى على الموت — ذلك الخصم الألد الذى يحمل الشاب على الرحيل فى عنفوان شبابه ، ويضطر الشيخ إلى السير - وإن تباطأ - فى ركابه ، فالخلود عون على الحياة وامتداد لها وعون على ما فيها من بؤس وشقاء ، وكثيرا ما نصبر على شدة اليوم وقسوته فى سبيل أن يأتى فرج الغد ، والأجل مهما طال قصير ، والعيش مرغوب فيه مهما ساء ، وربما كان حب الحياة أول ملهم بتجددها ، وكانت غريزة الاحتفاظ بها أول باعث للقول باستئنافها ، وقد صور الآدمى هذا الإستئناف وذلك التجدد بصور شتى وأشكال متباينة هى فى جملتها ترداد لنزعاته وآماله وميوله ورغباته ، فتصور الهمجيون الخلود على أنه عودة للإنسان فى شكل مارد جبار وشيطان رجيم ، يثأر لنفسه ممن عدا عليه ، واعتبره بعض المتحضرين نوعا من اليقظة يرفل فيها المرء فى سعادة ونعيم ، ولهذا أعدوا وسائل الزينة والزخرف فى قبورهم .

وبعد ذلك تطور الأمر وجاءت التعاليم السماوية فصورته فى صور أسمى ، وألبسته لباسا أفخم ، وأغدقت على الحيـــاة المقبلة متنوع الأوصاف بين مادية وروحية ، وحسية وعقلية حتى تقنع من لم يقتنع وترضى المفكرين والعقلاء .

وقد تناول العقل البشرى موضوع الخلود منذ عهد بعيد فأخذ يتفهم سره وغايته ، ويبرهن على إمكانه أوضرورته ، فاليونانيون والإسلاميون والغربيون تحدثوا فى هذا الموضوع وأدلوا فيه بآرائهم ومنها المتعارض ومنها المتشابه وإن لبس ثوبا آخر من الألفاظ .

فالفلاسفة اليونانيون القدماء أمثال طاليس وديموقريطس وفيثاغورس وغيرهم من القدماء قد انقسموا آراء فى ذلك ؛ وسبب اختلافهم هو أن بعضهم يقول إن للنفس أثرين ظاهرين : هما الحياة والحركة من جانب ، والإدراك من

جانب آخر ، ففريق أخذ بالأثر الأول ، وهم الذين عدوا النفس مصدر الحياة والحركة الذاتية فخلطوا بينها وبين الدم فإن سفح ذلك الدم كان الموت ، أو خلطوا بينها وبين الجواهر الفردة التى كانوا يظنون انها متحركة دائما ، أما الفريق الثانى فيأخذون بالإدراك ويعتقدون أن الشىء لا يدرك سواه إلا إذا كان مبدأ له ومتقدما عليه ، ولذلك اعتبروا النفس واحدا أو جملة من المبادىء التى يختلف نوعها وعددها تبعا للفلاسفة فظنو أنها نار أو هواء أو أرض أوماء أو جعلوها مركبة من العناصر الأربعة .

جاء بعد هؤلاء الفلاسفة القدماء سقراط ونراه يبرهن على الخلود بثلاث نقط فى اختصار يرجعها إلى برهان التضاد وبرهان المشابهة ، ثم برهان المشاركة ، فنحن نلاحظ أن الشىء إذا زاد عن حده انقلب إلى ضده ، وأن الأكبر يتولد عن الأصغر ، والأحسن عن الأسوأ ، فهناك إذن تبادل دائم بين الاضداد ، وما دام الموت والحياة ضدين فهما متعاقبان .

وقديما قالت الفيناغورية بالتناسخ وتداول الأجيال البشرية ، وبهذا يخرج الحى من الميت كما يخرج الميت من الحى ، وتبقى النفس رحالة متنقلة من جسد إلى جسد دون أن يطرأ عليها عدم أو فناء .

أما أفلاطون فقد أثبت خلود النفس وروحانيتها عن طريق إثباته لعالم المثل ، فقال إن النفس تدرك المثل والحقائق العامة الأزلية ، والشبيه وحده هو الذى يدرك الشبيه ، وبما أن المثل ثابتة أزلية باقية فإن النفس لها مثل ما للمثل من ثبوت وبقاء ، فالنفس عند أفلاطون كانت فى أول أمرها فى العالم المعقول خالصة من الجسم والمادة . كانت تشاهد المثل فى صحبة الآلهة ثم ارتكبت اثماً فكان عقابها الهبوط إلى الجسم ، فغشت كثافة مادته على بصيرتها وأنستها علمها ، غيرأن الحواس إذ تظهرها على الجزئيات تنبه فيها علمها القديم وتستحثها على استكماله ، فهذه النظرية عند افلاطون تحتم وجود النفس — نفس روحية بسيطة تعقل المثل المجردة البسيطة ، وترجع بوجود النفس إلى ما قبل الحياة الراهنة ، فتكفل لها من هذين الوجهين خلودا لا يفنى من حيث ان البسيط لا ينحل وإن ما كان موجودا بذاته من دون الجسم خليق أن يوجد بذاته من بعده .

على أن ذلك البرهان الذى أتى به أفلاطون أصبح سنة استمسك بها من جاء بعده فهو قد أنزل الخلود من السماء إلى الأرض ، وقد كان من أكبر فلاسفة القرون الوسطى تأثرا به فى ذلك هو الإمام ابن سينا ، على أنه يختلف عن أستاذه أفلاطون فى أنه وقف على الوحى الإلهى الذى صير الخلود عقيدة بعد أن كان مجرد أمل ورجاء ، وسمع لغة القرآن الصريحة فى الحشر والنشر والبعث والقيامة ، فرأى لزاماً عليه أن يربط هذه التعاليم الدينية بالبراهين الفلسفية ، وفى خيال حلو أشبه مايكون بخيال أفلاطون يقص علينا قصة هبوط الروح من عالمها العلوى ومقامها فى العالم الفانى ثم عودتها إلى بحر اللانهائية حيث الأبدية والخلود :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة ناظر وهى التى سفرت ولم تتبرقع
وصلت على كره إليك وربما كرهت فراقك وهى ذات توجع
إن كان أهبطها الإله لحكمة طويت عن الفذ اللبيب الأروع
فهبوطها لا شك ضربة لازب لتكون سامعة لما لم تسمع
وتعود عالمة بكل خفية فى العالمين فخرقها لم يرفع

ولا يقف ابن سينا عند هذا الشعر والخيال ، بل أبى إلا أن يبرهن على الخلود برهنة منطقية ، ويثبته إثباتا فلسفيا فيقرر أن النفس وهى جوهر بسيط لا يمكن أن تشتمل على مبدأين متناقضين ، وقد ثبت أنها حياة بفطرتها وطبيعتها فلا يمكن أن يكون فيها أى استعداد للفناء ، وفوق هذا فسواء لديها أبقى الجسم أم فنى فإن صلتها به ليست صلة ارتباط وتلازم متبادل ، بل صلة سيد ومسود ، ومالك ومملوك ، ولن يضير السيد فى شىء ما قد يلحق العبد من التغيير ، كما لا يؤثر فى شخص المالك ماقد يطرأ على ملكيته من الفساد ؛ فالنفس هى المتصرفة فى البدن والمدبرة لأمره ، ولن ينقلب الآمر مأمورا ، ولا المتأثر مؤثرا .

على أننا إذا ألقينا نظرة على الغرب وجدنا منهم من تعرض لبحث تلك المسألة فنرى عمانويل كانت — وهو من كبار مفكرى الألمان فى القرن التاسع عشر — يرفض الأدلة السابقة لإثبات الخلود ، فما كان للعقل أن يهتدى إلى شىء يعتبره ،

يقينا فى دائرة الأمور الغيبية . ولكن كانت لجأ إلى إثبات الخلود عن طريق شرح فكرة الواجب وبين أنها من أصل علوى ولذلك فهى فى حاجة إلى دعامة دينية ، ذلك أنه قال بفكرة الواجب تعليقا على نص جاء فى الإنجيل « سلام على سكان الأرض ذوى الإرادة الخيرة » فيقول كانت « إن فينا إلى جانب العقل الميول والأهواء ، والإرادة الخيرة هى التى تلبى نداء الأول قصدا وتعرض عن الأخيرة ، ونداء العقل هو نداء الواجب ، وأمره هو الذى ينبغى أن يقابل بالطاعة والامتثال ، فالإرادة الخيرة والواجب متلازمان ، والسلوك الصالح والعقل مرتبطان » هذه هى فكرة الواجب كما شرحها كانت ، ولكنه كما أسلفنا أراد أن يثبت أنها وهى من أصل علوى فى حاجة إلى دعامة دينية ، فوضع كتابه « نقـــد العقد العملى » ليوضح فيه دعائم الأخلاق ، وهى عنده حرية الإرادة ، وخلود الروح ، ووجود الله ، فقال «إن قوانين الواجب العقلية تستلزم إرادة حرة مستقلة تصدر عنها كل الأوامر المطلقة ، وقيامنا بواجباتنا المختلفة يشهد بأننا أحرار فى كل ما نريد ، ولولا تلك الحرية ماكان للتكليف والالتزام أى معنى ، وأننا بأدائنا للواجب نصبح أهلا للسعادة والخير الأسمى ، ولكن الحياة الدنيا فى قصدها لاتسمح بتحقيق تلك السعادة المنشودة ولذلك لابد أن نجزم بخلود الروح ولاسيما أن العدالة تأبى كل الإباء أن يكون جزاء الفضيلة هو الإعدام وأن يستوى البر والفاجر فى مصير واحد ، والعدالة أيضاً تستلزم أن تكون السعادة موزعة بين الناس حسب استحقاقهم وادائهم لواجباتهم وفى هذا ما يستلزم وجود قوة عظمى تشرف على توزيع الخير والسعادة بالقسطاس بين الناس ألا وهو الله » .

هذه هى نظرية الخلود فى القديم وفى الحديث كما عرض لها الفلاسفة الشرقيون والغربيون على أننا نورد سند الخلود الروح فى العصر الحديث : أن علماء الأرواح توصلوا إلى تحضيرها واستخدامها بطرقهم الخاصة للكشف عن المخبآت . وإنا نرى أن علماء الدين قد أقروا ذلك التحضير الروحى علما وعملا مما يقرر قولنا بالخلود .

نجيب محمد عطية
حقوق

مطبعة مخيمر

شارع فاروق — تليفون ٤٧١٩٣